القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجزء الثالث

1981

تأليف

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

ملتزم الطباعة والنشر

مؤسسة المعرفة والنشر

ص ب 93، ندوة العلماء لكنائِف
حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٢ ه - ٢٠١٠ م
الحياة في مدينة الرسول ﷺ

هنا هؤلاء قد أسفر النهار والمساء ضعفاء من المسجد النبوي في سكينة ووقار ولكن في حفظ ونشاط. وهنا دكان يفتح في السوق وهكذا سكة تمشى في الحقل، وهذا بستان من نخيل يسقى، وذلك أجبر يشتعل في حائط على أجرة يأخذها في النهار، قد اندفعوا إلى أشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال وطلب مرضاة الله بالمال، ترونهم خفاف أيديهم في العمل، ذلل الناس بذكر الله، غامري القلوب بالحبسه وطلب الأجر ي ולהم في أشغالهم ما لا يحسبه المسلمون اليوم في صلاته، مقبلين بقلوبهم إلى الله، ويقالبهم إلى شغله، وهنا هؤلاء قد أذرؤ المؤمن فإذا بهم ينفضون أيديهم مما كانوا فيه كأن لم يكن لهم به عهد، وخف إلى المسجد رجال لا تهيمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة، يخفون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار
وها هوذا قد قضوا صلاتهم وانتشروا في الأرض
يبخرون من فضل الله وذكرون الله، وقد مالت الشمس إلى
الغروب فرجعوا إلي بيوتهم وقابلوا أهلهم وجلسوا إليهم
تحدثون معهم، يلاطفونهم ويوثسوهم طمعاً في أجر من
الله ورضوان، وناموا بعد صلاة العشاء، وإذا بهم قائمين
أمام ربه في الأسحار، لهم دوي كدوي النحل. وفي صدورهم
أزيز كؤاز مرجل، وينصرفون بعد صلاة الصبح إلى أشغالهم
في نشاط الجندي وقوته كان لم يتعبوا في النهار ولم يسهووا
في الليل.

انظروا إلى مجالس الذكر والعلم في المسجد.

انظروا إلى مجالس الذكر والعلم في المسجد وقد
لضمت صنوفاً وأنواعاً من الناس. فهذا هوالفلاح الذي رأيته
في النهار في حقله. وهذا هوالإجر الذي رأيته ينزع الدلاء
ويسقي النخيل في بستان يهود، وهذا هوالجار الذي رأيته
في سوق المدينة يبيع، وهذا هوالصناع الذي وجدته مشتغلًا
بصناعة، وليسوا الآن إلا طلبة علم. وقد هجروا راحتهم
وهم في حاجة إليها بعد شغل النهار - وتركوا أهلهم وهم في
حينين إليهم لأنهم سمعوا أن الملائكة تتضع أجنحتها لطالب
العلم رضاً بما صنع، ولأنهم سمعوا "لا يقع قوم يذكرن
الله إلا حفتهم الملائكة وغشيهم الرحمة ونزلت عليهم
السكونة، وذكرهم الله في من عنده تراهم ساكنين كأن
على رؤسهم الطير، خاشعين كأن الوحي ينزل حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال رबكم قالوا الحق وهو العلي الكبير يتسابق العلم والخشوع فلا يدري أيهما أسبق وتبتدر المعاني إلى القلوب، والكلمات إلى الآذان فلا يدري أيهما أسرع.

وقد اتفق كثير من الناس على التناوب فإذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم حضر جاره أوأخيه فيخبر الأول بما دار في المجلس من حديث وما نزل من آية.

وهؤلاء هم القراء قد انقطعوا إلى العلم فإذا أقبل الليل انطلقوا إلى معلم لهم في المدينة فيدرسون الليل حتى يصبحوا، فإذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء أوأصاب من الحطب، ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشترىوا الشـاـة وأصلحوها فيصبح ذلك معلقاً بحجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما من أحد في المدينة إلا يعرف الحلال والحرام وما يتعلق بحياته وحرفته وشغله من الأحكام، ويحفظ من القرآن ما يقوم به في صلاته، ثم هومستمر في طلب العلم يزداد كل يوم فقهاً في الأحكام ورسوحاً في الدين وحرصاً على العمل وشوقاً إلى الآخرة ورغبة في الثواب، وعلمهم...
بالفضلين أكثر من علمهم بالمسائل، وباؤسل الدين أكثر من
علمهم بفروعه، أبز الناس قلوبًا وأعمقهم علمًا وأقلهم تكلفًا.
وإذا تعلم أحد منهم شيئًا من الدين أسرع إلى
إخوانه يعلمهم لأنه سمع "لا فليبلغ الشاهد الغائب، فرب
مبلغ أو دومن سامع " وسمعوا نبيهم يقول: " إما بعثت
معلماً وسمعوه يقول: " لا حسد إلا في أثاث رجل آتاه الله
ما لا فسقته على هلكته ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي
بها ويعملها، وهكذا أنقسم المسلمون في المدينة بين طالب
ومعلم، فإما طالب وإما معلم، بل كل واحد منهم طالب
ومعلم في وقت واحد، يأخذ من مكان ويدفع إلى مكان.
هل عرف التاريخ مدرسة أوسع من هذه المدرسة
النبوية التي يقرأ فيها التاجر والفلاح والأجير والصناع
والمحترف والشغول والشباب الناهض، والشيخ الفاني؟
يتعلمون فيها بجميع قواهم، فالأنزل تسمع، والعين تبصر
والقلب يشعر والعقل يفكر والجوارح تعمل.
عرفوا أحكام الاجتماع في الاجتماع وأحكام
الاختلاط في الاختلاط وأحكام التجارة في التجارة وأحكام
المعاصرة في المعاصرة فاستطاعوا أن يحافظوا على دينهم
ونياتهم وخشوعهم وذكرهم في المجامع والمجالس وفي صخب
الأسواق وفترة البيوت، فإذا حاضروا في الحياة لم يغلبوا على
أمرهم: شأن الذي يتعلم السباحة في بحر متلاطم وفي نهر فياض، فكانوا في المسجد إذا خرجوا من المسجد وفي الصلاة إذا انسصرفوا من الصلاة، بررة القلوب، صادقى الوعد، سديدي القول في المساجد والأسواق معاً، وفي المعتكَف والحانوت معاً، وفي الحضر والسفر معاً، ومع الصديق والعدو معاً، حتى إذا نادى منادي الجهاد «انفرفا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله» وهتف هاتف الجنة وسارعوا إلى مغفرة من ربيكم وجنابة عرضها السموات والأرض، أقرفل الناجر دكانه وترك الفلاح سكته ورمي الصناع آلائه، وترك الأجير رشاء دلوه، وخرجوا في سبيل الله لا يلون على شيء كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد، وفي ديارهم وأهلهم على مساحة ورخصة.

وترونهم يتجولون في البلاد ويسيحون في الأرض، كأنهم خلقوا على ظهور الخيل وويلدوا على متون الإبل، يعدون عدوى أروحة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها، يصلون النهار بالليل والشتاء بالصيف، وهم أنفسهم رحلوا ونزلوا مدارس سيرة ومساجد متنقلة، وهكذا نشروا الدين من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها.

من رسالة "إلى ممثل البلاد الإسلامية"
المنارة تتحدث

(1)

خرجت يوماً من مدينة دهلي أروح نفسي من صخب الأسواق وعناء الأسفلال، وذهبت إلى منارة قطب الدين خارج دهلي.
ورأيت هذه المنارة الشامخة فإذا هي آية في الهندسة والبناء، مبنية من الحجارة الصلبة الحمراء تنطق بعظمة القدماء.
وبينما أنا أدور حول هذه المنارة بين قبور وقصور، وأفكر في ضعف الإنسان وقوته البنيان، إذا صوت يرن في أذني ويقول: "أيها الرجل! اسمع".
والتفت فلم آر أحداً وسررت طرفني فإذا المكان هادئ وليس هنا داع، ولا المجيب، وليس هنا إلا الحجارة الصماء البكماء.
وإذا صوت يتردد "أيها الرجل! اسمع" فأصغيت إلى هذا الصوت وقد دنوته من المنارة، فرأيت عجبًا.
رأيت عجبًا إذ سمعت المنارة تتكلم، فقلت لم أر كاليوم حجارة تنطق، ومنارة تتحدث!
وإذا صوت أجهز وأوضع من قبلي، اسمع أيها الرجل
ولا تخف فقد أنطقني الله الذي أنطق كل شئ.
هناك وقفت وأستمع لهذا الصوت فإنا المنارة، تقول
أنا واقفة هنا منذ أكثر من سبعة قرون لم أبرح
مكانيا ساعة ولم أغمض عيني طرفة، أشاهد تقلبات الزمان
وتحول الملك والسلطان، كأني قتلت يدورة ح心理 الحوادث.
وقد رأيت في هذه المدة من العجائب ما أضحكني
قليلًا، ومن المحزنات ما أبكي طويلاً، ولولا أن قلبي من
حجر لنشق حزناً.
ولا أنكر أنني رأيت في هذه المدة ملوك عادلين.
ورجالاً من العلماء والصالحين، قررت بهم عيني وزالت بهم
أحزاني.
وها أنا أذا أقص عليك خبري، وما جرى في هذه البلاد
بين سمعي و بصري.
سمعت أن السلطان محمود الغزنوي هوالذي فتح
هذه البلاد للإسلام و دوخها من الشمال إلى الجنوب وهزم...
الأحزاب والجنود المجندة للنفوذ الهند فكان يرهانًا على أن الإيمان يغلب العدد، وذلك في فجر القرن الخامس الهجري.
وبعد قرن ونصف غزا الهند السلطان شهاب الدين الغوري وهو الذي رسخت به قدم المسلمين في هذه البلاد وقامت لهم دولة مستقلة.
ولكن الذي فتح هذه البلاد في الحقيقة وأخضعها للإسلام هو والي المسجد الشافع معين الدين الجاشي الذي اهتدي به إلى الإسلام ألوئه من الشركاء وكان دعاوته سلاحًا للغوري وجنة.
أنا أقول "سمعت" لأنني لم أكن في تلك الأيام فاننا وليدة القرن السابع فقد بناني قطب الدين منارة لجامع "قوة الإسلام" وتم بنائي على يد شمس الدين وليست فريدة منذ ولدت.
ومن حسنات الإسلام أنه جعل العبيد سعادة والمالك ملوكًا، فقد خلف الغوري ملوكه قطب الدين وخلفه ملوكه شمس الدين، واستمرت دولة الماليك 87 سنة جاء في خلالها ملوك يتجمل تاريخهم بهم كالقائد قطب الدين أيوب، والملك الصالح ناصر الدين محمود بن ألمش والملك العادل غياث الدين بلبن.
وفي عصر السلطان شمس الدين كان في دهلي الشيخ
الكبري قطب الدين بختيار الكعكي، وطالما رأيت السلطان
شمس الدين يدخل عليه في الليل ويخدمه ويعمر رجليه
ويزكي.
وانقرضت دولة ساداتي المماليك، والأرض لله يورثها
من يشاء، وجاء الخلج ورأيت من غرائب الإنسان، عماً
كريماً قتله ابن أخيه وختنها.
ولكن علاء الدين بعد ما قتله عمه جلال الدين ضبط
البلاد، وسن القوانين وعيّن الأسعار وبسط الأمن وأعجل في
الهند.
وقضى على الخلجيين بالزوال بعد 31 سنة، سنة الله
في الأرض، وورثهم آل تغلق، وكان منهم ملك غريب
الأخلاق: أبو محمد تغلق، الملك العاقل المجنون الذي أراد
أن يحاول العاصمة إلى دولة أبدًا ولكن الله رحم وحشثى ولم
يفلح الملك.
وثقته شاب صالح من بيته اسمه فيروز الذي بنى
المساجد والمدارس، وأنشأ الشوارع والرياضات، ورد المظالم.
وفي هذا العهد كان عبد الصالح الشيخ نظام الدين
البدأيوني، وكانت له زاوية عاهرة يؤمها مات من الطالبين
10
فكانت إمارة روحية في جنب إمارة مادية تفوقها في السلطان على القلوب.
حكم آل تغلق ١٣٥ سنة، مدة طويلة، ثم طوي بساطهم - والحكم لله - وأل الأمر إلى اللودهيين وكان أوسطهم سكندر اللودهي، وكان عادلاً فاضلاً يحب العلم والعلماء.
وفي هذا العهد ازدهرت مدينة جون فوروبيلغت أوجها في عهد إبراهيم شاه الشرقي (٨٤٨-١٤٤٤) وكنبت أسمع أحاديث ملكها وأخبار علمائها كملك العلماء القاضي شهاب الدين الدولت آبادي والشيخ أبي الفتح بن عبد المقتدر الدهلوي، وقصص جوامعها ومدارسها.
وازدهرت كذلك مدينة أحمد آباد وفاقت الهند بملوكها الراشدين وعلمائها المحدثين وبصنائعها وكثرة جنانها وحدائقها وحسن نظامها، وكنبت أسمع أخبار محمود شاه وابنه مظفر شاه الحليم (٢٦٨-٩٣٢) فكأنى أسمع أخبار رجال خير القرون.
المنارة تتحدث

وفي عهد إبراهيم اللودهي سنة 932 جاء بابر وهو من كاب وكسر جنود اللودهي وهي مئة ألف مقاتل في ساحة باني بنت باني عشر ألف مقاتل فكان برهاناً على أن العزيزة تغلب الكثرة، وأسس دولة المغول التي لها دوي في العالم وآثار خالدة في الهند.

وفي عهد ابنه هماسيون نهض شهاب شاه السوري فطارد هماسيون إلى إيران وأسس دولة منظمة لم تسبق، وعمل أعمالاً جليلة لوزعت على عدة ملوك لوسعتهم فأنشأ شارعاً مسيرته أربعة أشهر وغرس عليه الأشجار، وبنى عليه المنازل والمصلى وذلك كله في خمس سنوات، ولا أزال غبط "سهرام" إذا كانت عاصمتة ومدفنة، وهنا تخلقت دهلي وسبقتها مدينة صغيرة.

وخلف هماسيون الذي استرد ملكه بمساعدة شاه إيران ابنه الأمير أكبر وهو الذي مروا من الإسلام واحترع ديناً جديداً، وعائد المسلمين، وقد انجح الله من مصاحبه إذا اتخذ آخره عاصمته.
وخلفه ابنه جهاندير، وكان أفضل من أبيه، ودون ابنه وحفيده، واضحنت آثار أكبر في عهده.
وفي هذا العصر نهض المصلح الكبير الشيخ أحمد السرهيدي المجد (م 1034 هـ) فقلب النياز، وغير الله به الليل والنهار، وانتصر به الدين، وزالت به دولة المبتدين.
وفي هذا العصر سعت الهند أيضاً بوجود عالم كبير خدم علم الحديث وصنف، ودرس طويلاً وهو العلامة عبد الحق البخاري (م 1052 هـ) وأنا سعيد بأنه لا يزال في جوائري.
وخلف جهاندير ابنه شاه جهان، وهو صاحب الآثار الجميلة في الهند، بنى جامعاً في دهلي من أجمل مساجد المسلمين في العالم، وبنى القلعة الحمراء وبنى على قبر زوجه التاج محل وهي الدرجة البيضاء في البناء، وما ودت أن أفرح من مكاني إلا لأراه، وخلفه شاه جهان ابنه السلطان أورنك زيب عالم الكبير وهرجـل هذا البيت الرشيد، فأمر بتدوين الفقه وأبطل المكوس والمظالم عن المسلمين وضرب الجزية على المشركين ونصب المحتسبين وأقام دولة العلم والدين.
ومن سوء حظ المسلمين في هذه البلاد أن خلفاء أورنك زيب لم يكونوا رجالاً أكفاء في الدين والسياسة.
فأصبحت السياسة هزلاً والدولة ألوية. ملوك يحكمون صباحاً ويقتلون مساءً ويستبدلون كالخلقان من الثياب.
ولا أضيع وقتكم الثمين في سرد أسمائهم الفارغة.
وهما رأيت ما أبكي كي، فقد فسدت أخلاق المسلمين في هذا العصر. فشأ فيهم الفجوء، وعمّت الخمور وكثرت الملاهي وأقبل الناس على اللهو واللعب والرقص والغناء.
فكان أنه لم يبعث نبي ولم ينزل كتاب، والناس في جاهلية.
وكان أنذرك قول الله تعالى: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسقوا فيها فحقق عليها القول فدمرواها».

وأمّا بعد محمد شاه (م 1161 هـ) بلغ السيل الربي وعلم الوادي على القرى، فبعث الله على أهل دهلي عباداً لهم أولي بأصل شديد فجاجوا خلال الديار.

أيام جاء نادر شاه سنة 1151 هـ من إيران فوضع فيهم السيف. وبلغ القتلى من الهند عشرون دهليماً ألف ونيفاً. وسألت بدمائهم الشوارع. ولم يغمد السيف إلا بعد ثلاثة أيام.

ولم يفرق أهل دهلي والمسلمون من سكرتهم. فاجتمع عليهم الهرمة والسكون. اجتماع الأكمل على القتسعة. وفي كل يوم غارة ونهب وسلب وإهانة وجلاد. فخربت قرى كثيرة.
وهدمت مساجد ذكر فيها اسم الله كثيراً، وعجز المسلمون عن مقاومتهم ودخل في قلوبهم الجبن والخوف.

هناك رحم الله هذه الأمة الهندية فبعث لها أحمد شاه الأبدالي من أفغانستان سنة ۱۷۴ هـ فنارل المرة في ساحة باني بيت، وقتل منهم نحو مائتي ألف وهمهم هزيمة لم تقدم لهم بعدها قاتمة.

وفي هذه الأيام العقيمة أنجبت دهلي رجلاً عظيماً وهو الشيخ ولي الله بن عبد الرحمن، فنادي بالعلم إلى الذين وانتقد الأمراء الجائرين والشيوخ المبتدعين، وخرج العلماء الراشدين والدعاة المخلصين، وصنف الكتب البديعة في علوم الدين.

وشره هو وأبناؤه النجباء الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر وابن ابنه الشيخ إسماعيل دفين بالآكوت- عن ساق الجد في خدمة الدين، فمن مترجم للقرآن، ومن شارح للحديث، ومن فقيه يضرب إليه أكباد الإبل، ومن مذكر للنفس، ومن مدرس للحديث الشريف، ومن مجاهر بالسيف وشهيد في سبيل الله، ومن مهاجر إلى بيت الله، والهند تباهي بهذا البيت الشريف:

الأقطار الأخرى وتنشد:

أولئك أبنائي فجئن بmeldمهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(๑๕)
المنارة تتحدث

أراك يا سيدى قد سئمت حديثي وطول القيام هنا فاصبر قليلاً لعلى أخفف عن نفسى بعض ما أجهده من الحزن.

نسيت أن أذكرلك أن الإنجليز قد دخلوا في الهند في القرن السادس عشر المسيحي تجارًا وأسسوا شركة تجارية سموها الشركة الهندية الشرقية، وكانت بذرة فساد أغلبها الملوك المسلمين في بساطتهم وحسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتعل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية فتطمع رجالها إلى الملك والسياسة وصاروا يتخللون في الأمور، ويحرشون بين الأمراء ويتربون بعضهم ببعض، وينتهزون فرصة بعد فرصة حتى أصبحوا قوة في الهند.

ولم يزل أمر الإنجليز يقوى وأمر الهنديين يضعف حتى أخذوا في الجنوب كرناتك وفي الشرق كلكتة، وذلك كله بمال الهند ورجالها. لم يبذلوا في سبيل ذلك درهماً ولا دماؤ من قبل أنفسهم.
وقد عني بأمر الإنجليز فتى شهم وهو النواب سراج الدولة أمير مرشد آباد. وكانت بينه وبين الإنجليز وقعة في بلاسي سنة 1171 هـ - 1757 م. عر فيها الوزير مير جعفر وانسل إلى الإنجليز فانهزم سراج الدولة وانتقلت مقاطعة بنغال إلى الإنجليز.

واجتهد الأمراء مرة ثانية واجتمع مير قاسم خان مير جعفر أمير مرشد آباد. وشاه عالم ملك دلهي والنواب شجاع الدولة أمير أوده بجنودهم الكثيفة وقاتلوا الإنجليز وهم أقل منهم عدداً، ولكن أحسن منهم نظاماً فانهزم الهنديون وانكسرا في ساحة بكسر سنة 1178 هـ - 1764 م. فكان برهاناً على أن النظام يغلب الزحام. وكانت لالإنكليز اليد العليا والكلمة النافذة ما بين كلكتة ودهلي.

ثم قام الفتي الأبي الغيور السultan تيبوأمير ميسور وقاتل الإنجليز قتالاً شديداً. وهزمه الإنجليز بقوة المسلمين والمرهبة سنة 1214 هـ - 1799 م. وعذر الوزير مير صادق وانسل إلى الإنجليز، ومات السultan الشهيد في ساحة القتال. موت الأحرار الأبطال مدافعاً عن دينه ووطنه.

وأراد الله أن يبتلى أهل الهند فمنحهم فرصة أخرى فنهضت عصابة من الشبان المخلصين يقودها فتي من أهل
بيت الرسول ﷺ قد جاء من الشرق. كانت أراها كثيراً في مدرسة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله عليه ومسجد الشيخ عبدال قادر واشتهر سريعاً باسم السيد أحمد وتهافت عليه الناس من كل جانب، وبايعه محمد إسماعيل ابن أخي الشيخ عبد العزيز رحمه الله، وعبد الحق خان الشيخ وعالم دهلي الكبير والعلماء والصلاحاء، وطاف هؤلاء في البلدان والقرى وبثوا دعوة الرجوع إلى الدين والتمسك بالكتاب والسنة، وأعلموا في الصدور شعلة الجهاد، واجتمع حولهم أناس هم خير من وقعت عليهم عيني ديناً وعبادة وخلقًا ومعاصرة، وغيره وحماسة، فكانوا بالنيل رهبانًا، وبالنهار فرسانًا، وفي الدين أبدالًا، وفي القوة أبطالًا. وهاجر هؤلاء سنة 1241 إلى ثغور الهند ورفعوا راية الجهاد ضد السكك، وبايع الناس إمامهم السيد أحمد، وكانت الحرب بينهم وبين السكك سجالًا، وسمعت بعد قليل أنهم فتحوا أرضًا واسعة وأسسوا إمارة على منهج الخلافة الراشدة ونفذوا فيها أحكام الشرع، وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعرف ونهوا عن المنكر، وفتحوا بشارع عاصمة الثغور فعظم شأنهم وكتابوا أمير بخازار وجترال وأمراء أفغانستان، وكانوا يريدون أن يقيموا دولة شرعية مستقلة في الهند.
كنت أسمع ذلك كله والناس يفرحون وأنا أخفاف
لأنني لم أكن آمن عليهم من المسلمين الغدر والخيانة، وهما
من أمراض المسلمين. ولم تذهب دولتهم إلا بغدر المسلمين
يخاناتهم ونقاطهم - وسأحذى يا سيدي في هذا العتاب
المرقس الغدر - وكنت أخفاف ذلك خاصة في تلك البلاد، ولم
تمض يا سيدي أيام قليلة حتى وقع ما كنت أحذره، فقد
سمعت أنه عزر به الأمراء الأفغان وقتلوا نوابهم، وعملاهم
سجداً وقياماً، وسمعت أنهم الآن في طريقهم إلى كشمير.
ثم سمعت بعد أيام أنهم دهمهم العدو في وادي
بالاكوت في جبال هزارا - وذلك بديسية بعض المسلمين
أيضاً - وقتل أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل. وكانت هذه
الحادثة الأليمة سنة 1246 هـ.

وهكذا ضاعت هذه الفرصة الثمينة والله الأمر من
قبل ومن بعد.

وأعود إلى حديث الإنجليز وأقول إنهم اختلقوا ذنوباً
على الأمراء كما سمعت في قصة الذئب والنجعة، وانتزعوا
بنجاب والسند، وبورما وأوده وامتلكوها.
وانتبه الهنديون من سبائهم واجتهدوا أن يتخلصوا
من الإنجليز سنة 1857 م.
فكان ثورة كبيرة ولكن فشلت أيضاً بسوء نظام الهنديين ورسخت قدم الإنكليز وعاقبوا الهنديين عقباً شديداً، وعذبوهم عذاباً أليماً، وفسّكوا ببيت الملكي فتكاً شديداً، وأسروا بهادر شاه ونفوه إلى رنكون.

ومن ذلك اليوم أفل نجم المسلمين في هذه الديار، وانحطوا في الدنيا والدين، ورضاوا بالذل والعبودية، وفسدت الأخلاق، وسقطت الهمم، وضاقت الأرزاق، وغلبت الأسور، وعممت المجاعات، وعطلت المدارس، وأقفرت الزوايا، وأوحشت المساجد.

في سنة 1947 م تحررت البلاد من الإنكليز ووقعت اضطرابات هائلة، وهاجر كثير من المسلمين من بلادهم وقامت لهم دولة في شمال الهند الغربي، وبقى سائرهم حوالي في الحكومة الهندية وقد فقدوا نشاطهم واستولى عليهم اليأس.

وست قانطاً يا سيدي من رحمة الله، وهل يقتط من رحمة ربه إلا الضالة؟ ولم أيئس من نهضة المسلمين، فإنني رأيتهم طول هذه المدة كالشمس إذا غربت في جهة طلعت في جهة أخرى، وأنهم لم يرغب لهم نجم إلا وطع لهم نجم آخر، فإن مستقبل

(20)
العالم معقود بناصيتهم، وأن الله لا يحب الفساد في الأرض.
ولا يرضى لعباده الكفر.
اقرأ على أمتك مني السلام، وقل لها إني أشهد الله أن
هذه الأمة ما أفلحت إلا بالتمسك بالدين، وما خسرت إلا
بالغفلة عن الدين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح
أولها، هذا الذي شهدته واختبرته في هذه القرون المتطاولة.
ولا ينبئك مثل خبير.
ولا انتهى المنارة من كلامها، انصرفت عنها
ورجعت إلى مكاني ونلتقي أفكر في ما سمعت وتبادلت في
الصباح فقيدت حديث المساء.
عمرين الخطاب وأم البنين

كلم أمير المؤمنين
يقرع من مداها الساقون
يعرف نشر ذكرها القرناء
نظمت بمدح عقدها شينا
أراه بانتبهامهم قمينا
ويلية عبرة للحاكمين
فكنلت له جولته خدينا
يعز عليه يوماً أن يهونا
إلى الآيات يفند الشؤونا
بمنزوياتها رهطاً حزينا
حواليها صغار يعولونا
على عبطةً لتعليم البنين
بني ستكون وتشبعونا
بها حيناً وبالأولاد حينا
توجس أن يربر به الظنونا
برى الأولاد قد ملأوا البطونا
لدى عمار أمير المؤمنين
ملك دوماً بأسقاط
خوالد ما عفت قدماً ولكن
فمن يمدح لمكرمة فإني
وهاكم ما روى العباس عنه
يستعل صورة للبنس فينا
يقول: لقد دعاني الملك وهنا
أشب محبته لشعبه
سيرى منكرهاً والليل قر
يوف في الخيام عساه يلقى
فمر هناك بمارأة عجوج
وقدر أركزته على أثاف
تقول - ودأبها التنفيخ - صبرأ
فظل الملك يعين ناظره
وطال وقوفه في الحي حتى
يمنياً ليس يغبني البنين حتى
تنفخ في الوقود ويصرخونا
وحيا قائلًا: ما تصنعونا؟
جواب: قال: لم لا يأكلونا؟
أطع صبيتي الماء السخينا
أحذى أنهن متعلنونا
وساورهم نعاس يهجعونا!!
وأوريثت الصغير ضئي وحونا
على عمر أمير المؤمنين؟
يجود: ولم يكن عمر ضنينا
ونكس بنده في العالينا
وتحملني الخصاصة والأنيتا
وقال لها: بريك أخريتنا
ولم يعبأ بما قد حل فينا
يسمى نفسه الراعي الأمين؟
ويرتاد المزارع والحزننا
تبيت الليل تنتظر اللدوانا
تعيل به بنيها المديننا
فلا يجري مع التسولينا
ولايفغى أكفو الحسنينا
ومازالوا كذلك يضيع ساع
فعيال تصرفًا، ودنا إليها
وما بنيك ينتحبون؟ كانت
اجابة: والمحاجر دامعات-
فما في القدر غير حضي وماء
لعهلهم متي ملوا انتظاري
فقال لهما لقد أخطأت رأيًا
فلم تعرضي شكوك يومًا
إذن لكفامك مر العيش مما
فقالت: لا سقت عمر الغوادي
لقد سمحت بطلمي مقلتاه
قراع فوّأده ما تدعه
فقالت: قد أمر الطرف عنا
أيقف من سواحه مليك
عليه أن يسفتش في الرعايا
عساه أن يرى متالي عجوزًا
فينعم من خزينته بشيء
فكم عاف بينهـ حياة!
يكاد يموت من ظماً وجوه
فيحسب في عداد الظالمينا
نعود بما تيسر، فانظرنياً
كأن بنا إلى وطردحنياً!
وتنبها الكلاب وتقتفيناً
هناك ينبسم الذكر الدفينا
حملت السمن واحتمل الطحيناً
فعفر عارضيه والجيبنا
مشى طول المسافة مستكيناً
ضريت على صفا لئن تتلنا
ذنوبى يوم يجرى المذنبونا
أمد لكشف كريتهم بيمناً
وهم من جوعهم يتضورونا
وهم في كوكهم يتمللونا
وهم لنبالها مستهدفونا
وواصلني صداع لن يبينا
وجفف الغمر أوشك يحتوينا
خطائ وأغسل العار لما بينا
كحمل ظلامة المستقبليننا
طويلنا منه قاحلة شطونا

إذا ما تلم تغاضى عن ذويه
فقال لها: صدقته، فعن قليل
واسر وسرت محتذياً خطاه
أكروراًه تتحت الديايجي
إلى بيت المؤنة حيث أمسى
وأما هوغير لح الطرف حتى
وعدنا والدقيق عليه يذري
يكدان ينوى تحت الحمل لكن
كأنى إذ عرضت يدي عليه
فقال: اصمت فما حملت عنى
إلى الأولاد يا عباس سريري
أتاكل كل يوم كل لون
وينسرح في ربيع الأنس دوماً
وترقد لا نبالي بالبلايا
جفاني عند رؤيتهم رقادي
وكدأ أحس أن الأرض مادت
إلى الأولاد يا عباس أمحو
فوم الله ما القلل الرواسي
فأرجننا الخطى في الله حتى
فقد أعضت من العب الذهب
فكان شالها كبدًا وطيبنا
بينما، ودس به السمونا
فأكل في بقياه غصنًا
tناول منخره والعيونًا
كأنك تشهد الطاهي الفطينا
أبى إصراره أن يستعينًا
بتلفقيم الصغار الجائعينًا
ولعرفوا سواه أبو حنونا
أقلل اللوم والتزمي السكونًا
إلى عرش الإمارة منتمونًا
فناهي ملاء جفنيك وأصبحنا
عليها حيث أدركنا اليقيناً
من التنديد بآثبا طعينا
لشدة روعها ألا تكونا
نفيًا منها التأثر والشجونًا
وبدل شدة الأيام لينا
واحسناً وفرط تقى ودينًا
مثالاً للمملوك الصالحينًا
(الأستاذ جرجي نحلة سعد)

فأدركنا العجوز على قناد
وجفت قدرها فوق الأثاقن
فأفرغها، وأعمها دقيقة—اً
وكاد الود تحت القدري خيبو
مكبلاً لا يفطن دخان
يجيد الطبخ تحريكاً وعليا
فانضجح ونحن بجانبه
وأسرع-والبشاشة ملء فيه
يتامي ما حنا أحد عليهم
ومال إلى العجز فقال: مهلاً
سنذكر للأمير بلاك إنـا
كفاك كتابة وطويل وسهدا
وكان عند عمر رهيبًا
 لدى عمر، وقد رشقت سهامًا
فيالك موقفاً حرجاً تمت
ولكن نالها منـه التفات
فأحزن رفدها بعد اعتذار
فراحته، وهي تروي عنه عدلًا
كذا كان الخليفة من قـدم

(50)
الإمام أبوحامد الغزالي

ولد أبوحامد محمد الغزالي بطور سنة 450، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطور، وكان فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده، ويتوفر على المتفقهاء ويجالسهم وينفق عليهم مما يمكنه، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه إبناً فقيهاً وأعظماً، فاستجاب الله دعوته، ولما حضرته الوفاة وصى به وياحده أحمد إلى صديق له من أهل الخير، فلما مات أقبل الرجل على تعليمهما إلى أن فني ذلك المال الذي كان خلفه لهما أبوهما، فقال لهما: اعلم أنى قد أنفقت عليكمما ما كان لكما وأنا رجل فقير لا مال لي، فأرى أن تلجا إلى مدرسة فإنكم من طلبة العلم فيحصل لكم قوت يعينكمما على وقتكم. ففعل ذلك وكان هوالسبب في سعادتهما وعلو درجتهما.

قرأ الغزالي في صباه طفراً من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي وعلق عليه التعليقة، ثم رجع إلى طوس.

٢٦
قال الغزالي: قطعت عليّا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معني ومضوا فتبعثهم فالتفت إلى مقدمهم وقال ارجع وبحكم. وإلا هل كنت. فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقتي فقط فما هي بشئ تنتمعون به فقال لي وما هي تعليقتك؟ فقلت كتب في تلك المخلة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى آنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجد تزوات من معرفتها ويبقيت بآلام، ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلي المخلة. قال الغزالي هذا مستنقع أنطقه الله ليرشدني به في أمري. فلما وافيت طوس أقبلت على الاستغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته. وصرت بحيث لوقت علي الطريق لم أنجرد من علمي.

وقدم الغزالي نيسابور ولزم إمام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين وфанوسل، وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبًا جليلة. ولما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى المعسكر قاصدا الوزير نظام الملك. إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم

(27)
فناظر الأئمة والعلماء في مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم واعترفوا بفضله، وتقله الصاحب بالتعليم والتدريب
وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه إليها، فقدم ببغداد في سنة 484 ودرس بالنظامية وأعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكتته الدقيقة وإشاراته النبطية وأحبوه، وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفنية والتصنيف مدة عظيم الجاح زائد الحشمة عاليا الرتبة مسمع الكلمة مشهور الاسم، وعلت حشمه ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة.

ثم تبرمت نفسه مما كان فيه من الجاح وكثرة الطلبة والاقتراد على العلوم وتدريسها، واعتراف شكر في العلوم وظهر له أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالقوى وكف النفس عن الهوى، والإقبال على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاح والمال، وفكر في نفسه فإذا هو مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة، وفكر في نيته فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، فتبيقن أنه على خطر، ولم يزل يفكر في مفارقة بغداد وترك التدريس قريبا من ستة أشهر حتى غلب ذلك عليه واعتقل لسانه عن التدريس

٢٨٩
أورى ذلك حزناً في القلب بطل معه قوة الهضم وتعدي إلى ضعف القوى حتى ينف منه الأطباء وأشاروا عليه بالترويح، وخف عليه الإعراض عن الجاه والمال ففارق بغداد، وفرق ما كان معه من المال ولم يدخن إلا قدر الكفيف، وحج البيت الحرام ثم دخل الشام وأقام به قريباً من سنين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة، استغلالاً بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالشام الغربية من الجامع، وصنف التصانيف المشهورة لم يسبق إليها، مثل إحياء علوم الدين، وصادف دخوله يوماً المدرسة الأمينية فوجد المدرس يقول: "قال الغزالي" وهو يدرس من كلامه، فغشي الغزالي على نفسه العجب، ففارق دمشق وأخذ يجول في البلاد فدخل منها إلى مصر وتوجه منها إلى الإسكندرية فأقام بها مدة، واستمر يجول في البلدان ويزور المشاهد، ويرضى نفسه ويجاهدها، واستفاد من صحبة الشيخ أبي علي الفارمدي، وانكشفت عليه علوم وحكم، وعلمت مداركه وماد إلى الوطن وأثر العزلة وألزم بالعود إلى نيسبور والتدريس بها في المدرسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات، ودرس مدة
يسيرة وكل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق. ثم رجع إلى مدينة طووس وانتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وراوية للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من حفظ القرآن، و مجالس أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم، وإداة الصلاة والصيام وسائر العبادات، بحيث لا تخorning حظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الاثنين 14 جمادي الآخرة 550 هـ.

قال أخوه أحمد لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى وقال: علي بالكفن فأخذته وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مد رجليه واستقبل القبالة ومات قبل الإسفار.

وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم، ومات وكتاب الصحيح للبخاري على صدره.

كان الغزالي رحمه الله شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة عالي الهمة مفرط الإدراك، قوى الحافظة بعيد الغور، غواصةً على المعاني الدقيقة مناظراً قوى الحجة.
بين والد جندي وولد فقیه

خرج فروخ أبو عبد الرحمن في البعثة إلى خراسان
أيام بنى أمية غازياً. ولد ربيعة حمل في بطن أمه. وخلف
عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار. فقدما المدينة بعد
سبع وعشرين سنة وهواكب فرساً في يده رمح فنزل عن
فرسه ثم دفع الباب برمجه فخرج ربيعة. فقال له يا عدوالله
أتهجم على منزلتي؟ فقال لا: فقال فروخ يا عدوالله أنت
رجل دخلت على حرمتي، فتوثبتا وتلبت كل واحد منهما.
بصاحبه، حتى اجتمع الجيران. فبلغ مالك بن أنس،
والشيخ فأتوا يعينون ربيعة. فجعل ربيعة يقول: والله لا
فارقتك إلا عند السلطان. وجعل فروخ يقول: والله لا
فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي، وكثرة الضجيج، فلما
بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ
لك سعة في غير هذه الدار. فقال الشيخ هي داري وأنا فروخ
مولي بن فلان فسمعته امرأته كلمته فخرجت فقالت: هذا
زوجي. وهذا ابنى الذي خلفته وأنا حامل به، فاعتنتا
جميعاً وبكياً، فدخل فروخ المنزل وقال هذا ابنى؟ قالت نعم!  

(31)
قال فأخبرجي المال الذي لي عنك، وهذه معي أربعة آلاف دينار. فقالت المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام. فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقتة وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبي علي الهمي والساحقي، وأشراف أهل المدينة وأحدوق الناس. فقلت أمرته أخرج صل في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. فخرج فصلي، فنظر إلى حلقته واقترب، فأتاه فوقف عليه، ففرحوا له قليلاً، وتكس ربيعة رأسه يوهبه أنه لم يره، وعليه طويلة. فشك فيه أبو عبد الرحمن، فقال من هذا الرجل؟ فقالوا له هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن، لقد رفع الله إبني، فرجع إلى منزله فقال لوالدته لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقلت أمه، أمه أحب إليك الثلاثون ألف دينار، أوهذا الذي هوفي من نجمة؟ قال لا والله، إلا هذا، فذكرت فإنك أنفقت المال كله عليه، قال فوالله ما ضيعته.

(تاريخ بغداد للخطيب، ج 8 ص 421-422)
فاكهة الهند

إن كنت تبغي أطيب اللذات
فعليك صاح بأنباه الثمرات
في حسن مرأى في نباهة سيرة
في لطف ذات في سموصفات
يا حسن حمرتها وخضرتها وصفر
تهائ على الأشجار في الروضات
وتنى شمارة علقت في غصنها
مختوم راج في أكف ساقها
لم يختلف كناله الأثر في
الألوان والأذواق والهيئات
هذا، ولا تحسبه صنفًا واحدًا
بل جملة الأصناف مختلفات
سيحان من بالفضل فضلها على
أشهى مذواقات ومشمومات
بالجامعية فاقت الأمارا كا
لإنسان فاق جميع حيوانات

٣٢٣
جل القَـدِـير الفَرَدَ مَن فِي ثَمَرَة
بالصَـنِع يَـجمَع سَـائِر الثُـمَرَة
وإِذَا تَـجَـلى فِي الغَـصْـون رَأيْتَه
دَانِى الْصِـفَات بِعِيد مَوْصُوفَةَ
لَلَّهُ دَرُبِهِـنِـا وَوُفِـقَـنِـا
مِن غَـصْنِهِا تَـنِـفَـك بالعَـبِيرَـات
لِلـمَرِيَـه فَـيـهِ مَنْطِـه حَاـجَاتِه
تَـغْـنِيهِ عَـن مَـاء وَعـن أَـقْوَـاَتِه
وإِذَا دَعَـسَـا اللَّـهُ صَـاح فَوَاتِه
وْقَـتَـعَـن بِـهَ قَـبِيـل فَوَاتِه
فَـإِذَا انْقَـضَـت أَيَّـامه كَالبَرِق لَا
يَـجِدِـك حَيْـنَـئِذ سَوِى الحَـسَرَات
لَا غَـرِيـعَان قَـسَرَت مَـداها إِن أَيَاَمَ السَـرُور تَـسـرُّ كَالسَـساَعَات
يَا سَـيْـاه مَا هَـذَا الجَمْوَد فَقَـم بِـنَا
نَـخْرَج إِلَى الأَـئِـهَـا وَالدوـحَـات
فَالـعَيــم تَـبِـكِم مَـثْـل صَـب هـآئِم
وَالبَـرِق يَضْـحِـك نَـحْـوم بَـتُـسْـمَـتَـهـا

٤٣٤
والورق يصفق باتفاق عصونها
والطير يسجع باختلاف لغات
أوما ترى الماء المبارك كيف أنبت سائر الأزهار والحببات
فدع التنسلك ساعة بخلعه
نقضي فرائض هذه الأوقات
نلهونترامي الثمامة وجوهها
وقشورها ببدائع الحركات
نفري شرور الدهر عننا يومنا
بترن يحيى العظام رفاته
ولئن يلمع اللائمون فقل لهم
الاضطرار يبيح محظورات

(الشيخ ذوالفقار على الديوبندي)
حديث القمر

(1)

كانت السماء مصحبة لا غيم فيها، والليلة مقمرة.
وكان هشام يطالع القمر كأنما يطالع في كتاب.
وكان أبوه يرى ذلك في الليالي المقمرة فأراد أن لا يضيع هذا النظر ولا يخلومن درس.
قال الوالد يا هشام أراك تنظر إلى القمر طويلاً كأنك تتمتع بمنظره.

هشام: نعم يا أبي إن منظره جميل جداً لا أكاد أمالاً عيني منه، ولو قدرت لصعدت إليه بسلم.
والولد: وكم تقدر بعده يا هشام وأي سلم أومنارة تراها تكفيك للصعود إلى القمر؟
هشام: إنني لم أريا أبي سلماً رفيعاً جداً، ولكني أقدر إذا كانت هنالك منارة ارتفاعها ضعيف منارة قطب الدين في دهلي لأمكن الصعود إلى القمر.
والولد: وكم ارتفاع منارة قطب الدين يا هشام؟

٣٦
هشام: - سمعت أن ارتفاعها مائتان واثنتان
وأربعون قدمًا أو مائة ذراعًا. وذلك ارتفاع كبير.
والولد: - سبحان الله إنك ولد بسيط، إن القمر يا
ولدي يبعد من الأرض مائتي ألف وخمسين ألف ميل
وهواقرب الكواكب إلى الأرض.
هشام: - ففي كم مدة يصل الإنسان إلى القمر إذا
سافر إليه.
والولد: - إذا سافر الإنسان إلى القمر في قطار يسير
خمسين ميلًا في ساعة فإنه يصل إلى القمر في نحو سبعة
أشهر.
وإذا كانت الطائرة تطير خمس مئة ميل في ساعة
فالإنسان يصل إلى القمر بالطائرة في يومين وعشرين ساعة.
هشام: - يا سبحان الله، وسمعتك يا أبي تقول إن
القمر أقرب الكواكب إلى الأرض فهل القمر كوكب؟
والولد: - نعم يا ولدي القمر والشمس والأرض
والنجوم كلها كواكب، منها القريب ومنها البعيد، ومنها
الصغير ومنها الكبير.
هشام: - شيء غريب، فهل الشمس أقرب الكواكب
إلى الأرض ولذلك نورها ساطع وقوى جداً.
}
الوالد: - لا يا ولدي الشمس تبعد من الأرض مقدار
تسعين مليونًا وثلاثة ملايين، فالإنسان يصل إلى الشمس في
ذلك القطار في مائتي عام وعشرة أعوام.
هشام: - اللَّهُ أكبر، ولأي شيء هي ساطعة واضحة
 جداً؟
الوالد: - لأنها أكبر من الأرض مليون وثلاثة مئة
ألف مرة، ولولا هذا البعد الشاسع لكانت أسطح وأوضح.
هشام: - وهل هذه النجوم التي نراها كالنقط صغيرة
 جداً.
الوالد: - لا يا ولدي إن بعض النجوم أكبر من
الشمس بكثير، ولكنها أبعد عنها كذلك بكثير، حتى إن
بعضها لا يرى إلا بال👀هشام.
حديث القمر

(٢)

هشام: — وكيف الناس في عالم القمر، وكيف ديانتهم، وأخلاقهم، وكيف المساجد والمدارس ؟ وهل في المدارس احتجار سنوي، وكتب صعبة ؟ ومعلمون غلاط ؟
والولد: — إنك لستُ وحش، وهل إذا خبرتي بأن عالم القمر ليس فيه مدارس، أو هنالك مدارس ولكن ليس فيها احتجار وامتحان، والمعلمون كلهم رحمة وشفقة لا يعاقبون ولا يغضبون فهل تهاجر من الأرض إلى القمر ؟
هشام: — نعم يا أبي إذا هاجرت معي وهاجرت معنا أمنا وأسرتنا. ولكن أعلمني أقرأ أقرأ هنالك.
والولد: — يعسَك أن القمر ليس فيه عمران ولا يوجد فيه السكان بل هوقاع صفصف لأن البرد هنالك شديد لا يطيقه الإنسان.
هذا ما وصل إليه الإنسان وانتهى إليه علمه إلى هذا الوقت، ومن يدري لعله يثبت خلاف ذلك غداً، فإن علم
الإنسان ناقص، وهو كوكب السيار يتحول ويتغير.
فقد نقض العلم الحديث القديم، ومن يقدر أن يقول
إنه لا ينقض هذا الحديث أحدث منه واحكم منه، فالآلات
تحسن وترتقى والإنسان في اكتشاف واختبار.
في الأمس كان الناس يعتقدون أن الشمس تدور
حوَّل الأرض وأن الأرض ساكنة مسطحة. ويستدلون على
ذلك بكل شيء، ثم أثبتوا بالدلائل واختبار أن الأرض
مستديرة كروية الشكل تدور حول الشمس، وإذا خالف ذلك
إنسان رأى إليه الناس شزراً، وظنوا أنه من رجال القرون
الماضية.
حديث القمر

(۳)

هشام :-- ومن أين هذا النور يا أبي وهل هنالك قمر آخر؟

الوالد :-- هذا النور عارية من الشمس، فإن نور الشمس يعكس في القمر فيستانير كما يعكس نور المصباح في المرأة فتستانير المرآة.

هشام :-- وما هوالحسوف يا أبي ؟ فقد رأيت القمر ليلة الجمعة مخسوساً، ورأيت الناس يتصدقو و يصلون.

الوالد :-- القمر يدور حول الأرض و ....

هشام :-- وهل القمر أصغر من الأرض ؟

الوالد :-- نعم. الأرض أكبر من القمر خمسين مرة، فالقمر يدور حول الأرض، والأرض كما علمت تدور مع القمر حول الشمس، فإذا حالت الأرض بين القمر والشمس أصبحت حجاباً للقمر ونقطع عنه نور الشمس وأظلم القمر، فإذا حجبت الأرض جرم القمر كله احتجب القمر
كله، وإذا حجبت بعض جرمه احتجب وأظلم هذا الجزء فقط!

هشام: - لم أفهم ذلك جيداً يا أبي!

والد: - أنظر هذا مصبح منير، وهذه مرآة مسقولة.

وقد أشرفت المرأة بنور المصباح أليس كذلك يا عزيزي؟

هشام: - بلى يا سيدي!

والد: - ولماذا أظلمت هذه المرأة الآن وأين ذهب النور المنعكس فيها؟

هشام: - لأنك وقفت بينهما فحجبت النور عن المرأة.

والمرأة المسكيتة ليست نورها فيها بل يأتيها من المصباح.

والد: - صدقت يا ولدي، وذلك القمر مع الشمس لا يزال مستنيراً بنورها حتى يحول بينهما حائل، والحائل هو لأرض فقط.

هشام: - ولماذا لا تحول الأرض دائماً بين الشمس والقمر ولماذا لا ينكسف القمر دائماً?

والد: - أحسنت السؤال، وذلك لأن القمر يتزحزح قليلاً عن مكانه في الدورة فلا تجتمع الشمس والقمر والأرض على خط واحد إلا في النادر، إذن ينكسف القمر أوتنكسف الشمس.

(247)
هشام: - ولا بد أن الشمس تنكسف إذا حال القمر بين الشمس والأرض فيجعل نور الشمس عن الأرض بطبيعة الحال.

الوالد: - إنك لولد فطن وقد أصيبت في القياس.

هشام: - وماذا ينبغي لنا أن نعمل عند الكسوف والخسوف.

الوالد: - كان الناس في قديم الزمان يعتقدون أن الشمس والقرم إذا انكسفتان لحادثة مقلة في الأرض لوقع رجل جميل مثلًا ومن ثم إبراهيم بن محمد عليه السلام فانكسفت الشمس فقالوا إنما انكسفت الشمس لموت ابن الرسول، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرداه حتى دخل المسجد فدخل المسلمون فصلى بهم ركعتين حتى انجلت الشمس فقال: إن الشمس والقرم لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته فإذا رأيتهم فصلوا وأدعوا حتى يكشف ما بكم.

قال: "إنهم ما أيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته فإذا رأيتهم فافزعوا إلى الصلاة."
السلطان مظفر الحليم الكجرئي

(1)

السلطان الفاضل العادل السلطان مظفر المحدث
الفقيه مظفر بن محمود بن محمد بن أحمد بن مظفر
الكجرئي، أبو النصر شمس الدين مظفر شاه الحليم صاحب
الرياضين، ولد يوم الخميس لعشر بقين من شوال سنة
خمسة وأربعين ومائتان وثمانية بأرض كجرئات، ونشأ في عهد
السلطة ورضع من لبان العلم وتذبل في أيام أبيه، وقرأ على
مجد الدين محمد بن محمد الآجي العلامة وعلى غيره من
العلماء، وأخذ الحديث عنه وعن الشيخ المحدث جمال الدين
محمد بن عمر بن المبارك الحميري الحضري الشهير ببحرق،
وتدرب في الفنون الحربية حتى فقأ أسلافه في العلم
والأدب وفي كثير من الفناع الحميدة، وقام بالملك بعد والده
يوم الثلاثاء ثالث شهر رمضان سنة 917 من الهجرة،
وافتتح أمره بالعدل والسخاء والنجدة والجهاد وسد النغور
وإكرام العلماء.
وكان غاية في التقوى والعزيمة والعفو والتسامح عن الناس. ولذلك لقبوه بالسلطان الحليم، وكان جيد القيمة سليمًا لطبعه، حسن المحاضرة عارفاً بالموسيقى، مشاركاً في أكثر العلوم والفنون، ماهراً في الفنون الحربية من الرمي والضرب بالسيف والطعن بالرماح والفرسية والمصارعة، خطاطاً جيد الخط، كان يكتب النسخ والثلث والرقع بكمال الجودة، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثم يبعثه إلى الحرميين الشريفين، وحفظ القرآن في حياة والده في أيام الشباب.

وكان يقتفي آثار السنة السنية في كل قول وفعل، ويعمل بنصوص الأحاديث النبوية، ورضا يذكر الموت ويبكي، ويكرم العلماء ويبالغ في تعظيمهم، وكان لا يحسن الظن بمشاهيخ عصره في بداية حاله ثم مال إليه تجمع ولم يظل يحافظ على الوضوء ويرضى بالجماعة ويصوم رمضان ولم يقرب الخمر قط، ولم يقع في عرض أحد، وكان يعفو ويسامح عن الخطائين، ويجتنب الإسراف والتبذير، ويبدل الأموال الطائلة على غير أهلها.
وكان كثير التفحص عن أخبار الناس، عظيم التجسس عن أخبار المماليك وربما يغير زيه ولباسه ويخرج
من قصره آنه الليل والنهار ويطلع على الأخبار ويستكشف الأسرار.

قال الآصفي: إنه وصل إليه يوماً من القاضي بجانب يسير رسول الطلب وقد تظلم منه تاجر خليل فكما بلغه وعلى ما كان عليه في حال الخلق أجاب المسول وخرج ماشياً إلى مجلس القاضي، وجلس مع خصمه بين يديه، وادعى التاجر عليه أنه لم يصله魂 أفراسه وثبت ذلك، وأبي التاجر أن يقوم من مجلسه قبل آدم الثمن، وحكم القاضي به فكشت السلطان مع خصمه إلى قبض التاجر الثمن، وكان القاضي لما حضر السلطان في المحكمة وسلم عليه لم يتحرك من مجلسه، وما كفاه ذلك حتى إنه أمره أن لايرفع على خصمه ويبجلس معه، والسلطان لا يخرج عن حكمه، ولا قبض التاجر الثمن وسأله القاضي هل بقيت لك دعوى عليه وقال لا، عند ذلك قام القاضي من مجلسه وسلم على عادته فيه ونكس رأسه في ما يعتذر به، فقام السلطان من مجلسه مع الخصم وأخذ بيد القاضي، وأجلسه في مجلس حكمه كما كان، وجلس إلى جنبه وشكره على عدم مداهنته في الحق حتى إنه قال لعهدت عن سيرتك هذه رعاية لي لانتصفت للعدلة منك وأنزلتك منزلة آحاد الناس.

٤٦
لتألذ يأتى بعدك غيران بما أتيت، فجزاك الله عنى خيراً بوقوفك مع الحق فمثلك يكون قاضياً، فأذن به القاضي وقال مثلك يكون سلطاناً.

قال الأصفي: ومن بر الوسطيفض لأهل الحرمين الشريفين أنه نجد مركباً ونحن بالقماس الثمين وأرسله إلى ميناء الحجاز جدة، وجعله وما فيه صلة لهم، ولهم بمكة المشرفة رباط يشتمل على مدرسة وسبيل وعمرة غيرها.

وعين وقفاً يتجهز محصوله إلى مكة في كل موسم للمدرسين بمدرسته والطلبة وسكونة الخلاوي والخدم وما في معناه ويتجهز سواء لأهل الحرمين وكان ذلك مستمراً في أيامه.

ومن مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه المنسوب، كتبهما بقلم الثلاث المجد بماء الذهب، وإمام الحنفية مخصوص بالقراءة فيهما، وربعتان أيضاً بخطه كذلك، وللمصنفين والربعتين وقف مخصص يتجهز كل عام إلى الحرمين الشريفين لقارئ المصحف، وقراء الأجزاء وشيخ الردة ومغرقها والحافظ لها الداعي له عند الختم والسقاء في الوقت النقيب والفرص، وقد رأيت ذلك وكان مستمراً إلى شهادة السلطان محمود.
السلطان مظفر الحليم الكجراتي

(2)

ومن نوادر فعاله أنه لما تغلب مدني رأى على بلاد مالوه وضيق على المسلمين وخرج محمود شاه الخلجی صاحب مالوه من بلاده هارباً عنه إلى كجرات، نهض السلطان مظفر الحليم من بلاده إلى مالوه سنة ثلاث وعشرين وتسععمائة بعساكره، فوصل إلى "دهار" ثم إلى "مندو" ونزل على القلعة وشرع في المحاصرة، وأما مدني رأى فإنه لما بلغه نزول السلطان "بديولة" قال لأصحابه قرب منا المظفر ولا سبيل إلى الحرب إلا إذا حضر. رانا سانكا، صاحب جتور فاکفونی أتتم القلعة وان أسير إليه وأصل به، وعلى هذا دعموه وعزم لطلبه، فلمث نزل السلطان على القلعة خرج يوماً فيه نخبة من رجال القلعة على أن يستبكون بالمسلمين، وكانوا حذرين فشدوا عليهم وقتلوا منهم كثيراً وهرب الباقون وتركوا السيف واعتمدوا على الخذيمة فطلبوا الأمان لتسليم القلعة وترددوا فيه ايامًا، ثم سألو الأمان لأموالهم، فلما أجبروا طلبوا المهله للجمعة ثم سألوا التباعد
عن القلعة ليأتمنوا في الخروج، فلما فعل ذلك بلغه وصول "رنا سانكا" إلى "أجين" فغضب السلطان وركب على ربيعة مرتفعة هناك وجلس عليها، وأما الأمراء فكل منهم في سلاحه الكامل في ظل علمه واقف تحت الربيعة. فطلب من بينهم عبدل خان الفاروقي صاحب برهان بور وقلده إمارة الأسر المجهز لحرب صاحب جتوفر. وخلع عليه وقلده سيفاً وحياضه ومجنزاً وتسعة من الخيل وحلقة من الأفيال وأوصاه وودعه، وكذلك طلب فتح خان صاحب راهن بور وأعطيه مثليه، وكذلك طلب قوام خان ثم أوصاهما بعبدل خان وودعهما، ثم استدعى عسكر هؤلاء ووضعهم جميعاً وخصوص وجهه العسكري باللقبية وأمر بسائرهم بالتنبلي على عادة الهند في الرخصة لهم، ونهض إلى منزله الأول وجاء في أسباب الفتح ودخل القلعة عنوا في ثانية يوم نزوله وأعمل السيف فيهم، وكان آخرهم أنهم دخلوا مساكنهم وغلقوا الأبواب، وأشكلوها ناراً فاحترقوا وأهليهم، والسلطان تحت المظلمة وهكذا محمود وهما يسيرون رويداً رويداً والدماء تسيل كالعين الجارية في سكك القلعة من كل جانب إلى مخارج الماء منها، وبلغ عدد القتلى من الكفرة تسعة عشر ألفاً سوى من غلق يابه واحترق وسواء أتباعهم، فلما وصل السلطان إلى دار سلطنة الخليجى اتفت إليه وهناه بالفتح 49
ويبارك له في الملك وأشار بيده المباركة إلى الباب، وقال له بسم الله ادخلوها بسلام آمنين. وعطف عنانه خارجاً من القلعة إلى القباب، ودخل الخليجي منزله واجتمع بأولاده وأهله، وسجد شكراً لله سبحانه. فلما بلغ مدني رأى شهق شهقة وغشي عليه، وسمع رأنا سانكا بعاصم خان وقرب من أجين فاضطرب وقال مدني رأى ما هذه الشهقة قد قضى الأمر، فإن عزمت على أن تلحق بأصحابك فها عادل خان يسمع نفيره، إلا فأدرك نفسك. ثم أمر به فحمل على فيل وخرج من أجين إلى جهاته خائباً، وبعده عادل خان إلى دينال بور وتوقف بها حتى جاءه الطلب.

ثم إن الخليجي تفقد ذخائره وهياً الضيافة ونزل إلى مظهر أمه السلطان وسأله التشريف بالطروح فألجابه، فلما فرغ من الضيافة دخل به في العمارات التي كانت من آثار أبيه وجدته فأعجب بها وترحم عليهم، ثم جلس في جانب منه وشكره الخليجي وقال: الحمد لله الذي أرانى بهمتك ما كنت أذناني بأعدائي ولم يبق لي الآن إرب في شئ من الدنيا، والسلطان أولى بالملك مني وما كان له فهوي، فأسألك قبول ذلك، وللسلطان أن يقيم به من شاء، فالتفت السلطان إليه وقال له إن أول خطوة خططتها إلى هذه الجهة كانت لله تعالى، والثانية كانت لنصرتك وقد نلتها ففالله
يبارك لك فيه ويعينك عليه، فقال الخليجي خلأ الملك من الرجال فأخشى ضياعه، فأجابه مظفر شاه الحليم وقال له أما هذا فمقبول سيكون أصف خان معلق باشتي عشر ألف فارس إلى أن يجتمع رجالك، فطلب الخليجي أن يكون عنده ولده تاج خان وألح عليه فأجابه إلى ذلك، ووعده بالنصر في جميع الأوقات. وقال لأصف خان مالك ولأصحابك كافة من الجرآية والولاية عندي فهي على حالها إلى أن ترجعوا إلى منازلكم، وما يعطكم الخليجي فهو مضاف إليه للتوسع في الوقت، وأمر للخليجي بخزاءنة ثم ودعه ونزل.
وقيل إن مظفر شاه لما فتح القلعة ودخلها سأله أركان دولته أن يستأثر بها فالتفت إلى الخليجي وقال له: احفظ باب القلعة ببرجال لا يدعوا أحداً يدخلها بعد حتى من ينتسب إلى، فطلب الخليجي أن يمكت في الباناني التي لا يعرف لها نظير في الهند، وانتهى إلى بناء بابه مغلق فاستفتحه ودخل إلى حجر هنالك فأمر الطواشية بفتحها واستدعاء من فيها فإذا بنساء برزن في حلى وحلق قل أن رأت العين مثلهن، وبأيديهن أصناف الجوهر، وما منهن إلا من سلمت وتبرت ما بآيديها على قدم السلطان فأشار بأن يحتجن لأن النظر إلى الأجنبية لا يحل، فقال الخليجي كلهن (61)
ملكى وأنا مالك والعبد وما ملك لولاهم فدعا له وعاد إلى قيامه.
فلما نهض للمسير راجعاً نزل الخليجي ومعه
تاج خان وآصف خان وشيعه إلى حده وسلمه الدعاء ورجع،
وأمهل السلطان لعادل خان فرجع إلى برهان فور ووصل
السلطان بالفتح والدعاء إلى جانبٍ أخبار، وكان يوم دخوله
مشهوداً كثير فيه الدعاء له من سائر عباد الله تعالى.
وكان فتح مده بفاغي ثأري عشر من صفر سنة أربع
وعشرين وتسعمائة، وهو من نوادر الوقائع لا يذكر مثله لأحد
من ملوك الهند وسلاطينها بل سلاطين غيرها من البلاد.
وأعجب من ذلك أن هذا الخليجي وأسلافه كانوا من
أعداء دولتهم، فإن جده محمود شاه الخليجي الكبير كان
سامحه - الله يصلى عليهم مرة بعد أخرى وفي كل مرة
يخسر بكى في أمله، وأبوه غياث الدين الخليجي خرج إلى
كجرات لنصرة كفار الهند على محمود شاه الكجراتي
الكبير، وكذلك جده في أيام محمد شاه الكجراتي - سامحها
الله تعالى - ولله در من قال:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله ليخيل

52
السلطان مظفر الحليم الكجراتي

(3)

قال الآصف في سنة إحدى وثلاثين وتسع مائة
خرج السلطان إلى مسجى العيد للاستسقاء وتصدق وتفقد
ذوي الحاجة على طبقاتهم وسألهم الدعاء، ثم تقدم للصلاة.
وكان آخر ما دعا به كما يقال: اللَّهِمَّ إني عبدي ولا أملك
 لنفسي شيئًا فإن تلك ذنوبي حبست القطرفها ناصيتى
بديل فأغشتنا يا أرحم الراحمين. قال هذا ووضع جبهته على
الأرض واستمر ساجداً يكرر قوله يا أرحم الراحمين، فما
رفع رأسه إلا وهاجت ريح ونشأت سحابة ببرق ورعد ومطر،
ثم سجد لله شكرًا ورجع من صلاته بدعاء الخلق له
وهو يتصدق وينفح ببيده بالمال يمينًا وشمالًا.

وبعد الاستسقاء بقليل اعتراه الكسل ثم ضعف المدة
..... وفي خلال ذلك عقد مجلسًا حافلاً بسادة الأمة ومشايخ
الدين وصوفية البقين، واجتمع بهم وتذاكروا في ما يصلح
بلاغاً للاخرين، إلى أن تسلسل الحديث في رحمة الله سبحانه
وما اقتصاه منه وإحسانه، فأخذ يشرح ما من الله عليه من

(53)
حسن ونعمة واعترف بعجز شكرها إلى أن قال: وما من حديث رويته عن أستاذي المسند العالي مجد الدين لروايته له عن مشايخه إلا وأحفظه وأسنده وأعرف لراويه نسبته وثقته وأوائل حاله إلى وفاته، وما من آية إلا ومن الله على بحفظها وفهم تأويلها وأسباب نزولها وعلم قراءتها. وأما الفقه فأستحضر منه ما أرجوهي مفهوم: من يرد الله به خيراً يفقه في الدين "ولي مدة أشهر أصرف وقتاً باستعمال ما عليه الصوفية وأشغله بما سنن المشايخ لتزكية الأنفس عملاً بما قبل: من تشبه بقوم فهمونهم، وهذا أنا أطمع في شمول بركاتهم متعلماً بعسي وعل، وكانت شرعت بقراءة معامل التنزيل وقد قاربت إتمامه إلا أني أرجو أن أختمه في الجنة إن شاء الله تعالى، فلا تنسوني من صالح دعائي، فإني أجد أعضائي فقدت قواها، فدعا له الحاضرون بالبركة في العمر.
قال وفي سنة 922هـ على خروجه من جانبانيه ظهرت منه مخايل المستودع بفرق الأبد لها ولأهلها، وأكثر من أعمال البر فيها وفي طريقه إلى أحمد آباد، ولا نزل بها كان يكثر من التردد إلى قبور الصالحين، ويكثر من الخير بها. وكان له حسن نظر بالعلامة خرم خان فقال له يوماً

(54)
نظرت في ما أوثريه أولى الاستحقاق من الإنفاق فإذا أنا
بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط في منع أهله، فلم أدر
إذا سئلت عن ذلك بماذا أجيب؟
وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى القصر
واضطجع إلى أن راللت الشمس فاستدعى بالباء وتوضأ
وصلى ركعته الوضوء، وقام من مصلاه إلى بيت الحرير
واجتمعت النساء عليه أشقات باكبات يندبن أنفسهن
حزناً على فراق لا اجتماع بعده، فأمرهم بالصبر اللؤذن
بالأجر، وفرق عليهم مالاً ثم دعهم واستودعهن الله
سبحانه، وخرج وجلس ساعة ثم استدنى منه راجه محمد
حسين المخاطب بأشجع الملك، وقال له قد رفع الله قدرك
بالعلم، أريد أن تحضر وفاتي تقرأ علي سورة يسين وتغسلني
بيدك وتسامحتن فييه، فامتن بما هو أهله وفداً ودعاه
له، وسمع آذاناً فقال أهون الوقت فأجاب أحد الملك هذا
أذان الاستدعاء لا استعداد صلاة الجمعة ويكون في العادة
قبل الوقت، فقال أما صلاة الظهر فأصلبها عندكم وأما
صلاة العصر فعندي في الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن
للحاضرين في صلاة الجمعة وطلب مصلاه، وصلى ودع الله
سبحانه بوجه مقبل عليه، وقلب منيب إليه، دعاء من

(55)
هوممارق للقصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه، دم في ضيائنا واحدة
قد أتيني من الملك وعلمته من تأويل الأحاديث، فاطر
السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة تؤمن مسلمًا
والحقني بالصالحين وقام من مصلاه و يقول استودع
الله واضطلع على سريره، وهوجمتع الحواس ووجهه إلى
القبلة، وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفاضت نفسه
والخطيب على المذبح دعوته.
وكان ذلك في ثاني جمادي الأول سنة 932 هـ وحمل
تابوته إلى "ساركحيج" ودفن عند والده طيب الله ثراه،
ويحسن الاستشهاد هذا بما رثى به العماد الكاتب سلطاته
الملك العادل نور الدين الشهيد رحمه الله.
يا ملكاً أيامه لم تزل بفضله فاضلة فسأحرة
ملكت دنياك وخلقتهها وسرت حتى تملك الآخرة
(نزهة الخواطر للسيد العلامة عبدالحسي الحسني)
رسل المسلمين عند قائد قواد الفرس

أرسل سعد قبل القادسية رعيي بن عامر رسولًا إلى
رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم، فدخل عليه وقد زينوا
مجلسه بالنمارق المذهبة وزرافي الحرير، وأظهر اليواصت
واللالي الثمينة، والزينة العظمية وعليه تاجه وغير ذلك من
الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب.

ودخل رعيي بثياب صقيفة وسيف وترس وفرس
قشيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم
نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه
ودرعه، ومخفره على رأسه فقالوا له ضع سلاحك. فقال إني
لم آتكم، وإذا جئتكم حين دونوني فإن تركتموني هكذا
иلا رجعت، فقال رستم اذنوا له، فألقت يتوكلًا على رمحه
فوق النمارق، فخرق عامتها.

قالوا له ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا للخرج من
شأن من العبادة العبد إلى العبادة لله، ومن ضيق الدنيا إلى
سعيتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينها إلى
خلقه لتدعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلكا منه ورجعنا عنه، ومن
أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله.

صف (٥٧)
قالوا وما موعود الله؟
قال: الجنة لن مات على قتال من أبي، والظفر لنبقى.
فقال: رستم: قد سمعت مقالاكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟
قال: نعم! كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟
قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا!
فقال ما سلن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختار واحدة من ثلاث بعد الأجل.
فقال: أسئدهم أنت؟
قال: لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أذناهم على أعلاهم.
فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيت فقط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدعو دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال ويلكم لا تنتظروا إلى الثياب وانظروا إلى الرأى والكلام والسيرة.
إن العرب يستخدمون بالثياب والأكل ويصونو الأحاسيب١

١ البديعة والنهاية ج ٧ ص ٤٠٨
الجامع الأزهر

الجامع الأزهر هو ذلك المسجد الكبير القائم في مدينة القاهرة لأكثر من تسع قرون ونصف، وفيه تلك الجامعة الدينية الكبرى، وهو أول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصفلي مولى العزيدين الله الراشد، الفاطمي لما اختط القاهرة، إذ شرع في بنائه لست بقين من جمادي الأولى سنة 399 هجرية، وتم بناؤه لتسع من رمضان سنة 411 هجرية.

وكان حال هذه المدرسة كأمثالها من المعاهد العلمية ودور التعليم، بدأت صغيرة لكنها ما لبثت أن اتسعت نطاقها وعظم شأنها بما أضاف عليها الملوك والأمراء حتى أصبحت منبناً للتعليم الديني، وطبق صيتها الخلاقي فانحدر إليها الطلبة من أقصى المسكونة، وتخرج منها العلماء والأئمة في كل فرع من فروع العلم الديني وغيره.

وقد زاد الملوك والأمراء في بنائه ووسعوا في نواحيه وشادوا مساكن للطلاب (أروقة) وأسكنوا فيها من لم يكن له مسكن يأوى إليه، ولا سيما الغرباء وأودعوا فيها كتب التدريس والمراجعة.
كان الأزهر يسير على نظام سهل يكاد يكون فطرياً أساسه التقوى وقوامه احترام الدين وأهله، فلم يكن به من مظاهر نظماته هذه الأيام وتدبيراتها شيء.
كان الطالب يدخيله مختاراً بلا قيد ولا شرط ويختلف إلى من أراد من العلماء لتلقي العلم عنه، ويبقى فيه ما شاء أن يبقي، فإذا أنس من نفسه علمًا كافياً وملكة يتمكن بها من إفادة غيره جلسة للتدريس حيث يجد مكانًا خالياً، وعرض نفسه على الطلبة فكانوا إذا وجدوه على علم التفوا حوله وقبلوا يده، وإذا رأوا غير ذلك انصرفوا عنه، وتلك هي شهادة العالمية التي كان يعطاهها العلماء.
وفي سنة 1288 ه وضع أول قانون للأزهر وصدرت بعد ذلك عدة قوانين.
وفي 3 محرم سنة 1355 ه صدر مرسوم بإعادة تنظيم الجامع الأزهر ومعاهد الدينية العلمية الإسلامية ونفذ كقانون من قوانين الدولة.
وقد أنشئ قسم عام بالقاهرة ألحق بالجامع الأزهر من سنة 1352 ه لسد حاجة من يريد التوسع في أحكام الدين واللغة العربية، وقد خص الأزهر دون سائر المعاهد بالتعليم العالي والتخصص.
وأنشئ قسم من الأزهر للتخصص في علوم الدين واللغة العربية والتاريخ الإسلامي والتربية والوعظ والإرشاد.
وكليات الجامع الأزهر هي:
- كلية الشريعة
- كلية اللغة العربية
- كلية أصول الدين

ويشير الجامع الأزهر هم الإمامة الأكبر لجميع رجال الدين والقادة الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين في القدر المصري كله.

وللجامع الأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر يشرف على شؤونه وإدارته ويرأس هذا المجلس شيخ الجامع الأزهر.

بلغت ميزانية الجامع الأزهر لميتاد الدينية العلمية الإسلامية لسنة 1936 - 1937 المالية 262 جنيه مصرى.

وبلغ عدد الوظائف الدائمة الخاصة للمدرسين والموظفين 776، وعدد الوظائف الموقدة 231.

وبلغ عدد طلبة الأزهر سنة 1936 - 1937 الدراسية 1113 طالب.
معظم طلبة الأزهر من المصريين والسوريين والأتراك والمغاربة وبعضهم يأتي من الأفغانستان والصين وبغداد وبورنيو والهندوچين والعجم وسنار والصومال وجنوب إفريقيا وغيرها.

وكان في الأزهر مجموعة كبيرة من الكتب متفرقة في أروقته وفي جهات متعددة منه، فلما توجهت العناية إلى إصلاح الأزهر وتحسن حاله أنشئت في سنة 1897م دار كتب عامة تسمي "دار الكتب الأزهرية الكبرى" تجمع ما تفرق في أروقة الأزهر من الكتب، ورتب لها ما يلزم من المال والعمال، وما زالت هذه الدار تدرج في الرقي حتى أصبحت تحتوي على 72 مجلداً بين مخطوط ومطبوع، وفيها من أمهات الكتب ونادرها ما لا يوجد في دار كتب أخرى.

(مقويم مصر بتلخيص)
أدب القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم، يَا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تبتط أعمالكم وأتصارعون إن الذين يغضبون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للنفوذة لهم مغفرة وأجر عظيم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولوا أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم، يَا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بناء فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وعلموا أن فيكم رسول الله وليطيعكم في كثير من الأمر لعنتهم ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزيزنه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلًا من الله ونعمه والله عليم حكيم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فأصلحوا بينهما، فإن بغض إحداهم على الآخر فقاتلوا التي تبلغ حتى تفني إلى أمر الله، فإن فآت فأسلحا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقصطين، إنا المؤمنون إخوة فأسلحا بين أخوكم واتقوا الله لعلكم ترحمون، يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكون خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنافروا بالألقاب، بئس الأسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يلب فأنسلك هم الظلمون، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تحسدوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، أ يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله، إن الله تواب رحيم يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير، قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولا يدخل الإيمان في قلوبكم، وإن تطيعوا الله ورسوله لا ينكل من أعمالكم شيئاً، إن الله غفور رحيم، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا واجهوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون، قال أتعلمون الله بدينكم، والله يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله

۶۴
بكل شيء على. يمنون عليك أن أسلموا، قال لا تمنوا على إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. إن الله يعلم غيب السموات والأرض، والله بصيبر بما تعملون.

(سورة الحجرات)
شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية

ولد أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية بسران، يوم الاثنين في 10 وقيل 11 ربيع الأول سنة 611 هـ وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، كانوا قد خرجوا من بلادهم مهاجرين بسبب جور التتر فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب. وكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة فانتهوا إلى الله تعالى واستغاثوا به فنجوا، وقدموا دمشق في أثناء سنة 617 وسمع هناك من أكثر من مائة شيخ ولازم السماع مدة سنين واشتعل بالعلوم وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه وبرع في النحو وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، كل ذلك وهاوبه بضع عشرة سنة، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً برأٍّ بوالديه تقياً ورعاً ناسكاً صواماً قواماً ذاكراً لله تعالى في كل أمر وعلى كل حالف، رجاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقفاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، أُمِّرَ بالمعروف ناهياءً عن المنكر، لا تكاد نفسه تشعَّب من العلم ولا تروي من المطالعة، ولا تغل من الاشتغال ولا تكل من البحث، وكان
يحضّر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويقحم الكبار، ويأتي بما يتحجر منه أعيان البلد في ا لعلم، وأفتى وله نحو 17 سنة، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، ومات والده فكان من كبار الحنابلة وأئمته، درس بعده بوظائف وله 21 سنة فاشتهر أمره، وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتب العريزة أيام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد ما يقوله من دون توقف ولا تلغم، وحج سنة 191 ورجع وقد انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، ولم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محننة إلا إلى محننة، حبس مراراً في مسائل فقهية وكلامية وحبس مرة ببرج، وكان موضعه فسيحةً فصار الناس يدخلون إليه ويقرأن عليه ويبحثون معه، ونقل إلى الجب، ونفي من بلاد ونقل من بلاد إلى بلاد، وقاموا عليه في شهر رمضان سنة 719، وأكد عليه المعم من الفتيا، ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة 720 ثم حبس بالقلعة، ثم أخرج في عاشوراء سنة 721، ثم قاموا عليه مرة أخرى في شعبان 722 بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة سنة 728 هـ وصلى عليه بجامع
دمشق، وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المئث، وأقل ما قيل في عددهم إنهم خمسون ألفًا. قال الذهبي كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح، وكان يحق له الارتداد لاجتماع شروطه فيه، وما رأيت أسرع انتزاعًا للأيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاً للعون في علمهم وعزوهما منه، كأن السنة نصبه عنيفية وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوضيح فيه، وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه. هذا مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاد النفس، ولعل فتاواه في الفنون تبلغ ثلاث مائة مجلد بل أكثر، وكان قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم.
كان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، وكان عينيه لسانان ناطقان، ربيعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحًا، سريع القراءة، تعترف حدة لكن يقهرها بالحلم لم أره مثله في ابتهاله واستغاثته وكترة توجهه، وأننا لا نعتقد فيه عصمته وكان بشراً من البشر تعترف حدة في البحث وغضب، وكل
أحد يؤخذ من قوله ويترك.
وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظمًا للشرايع ظاهراً وباطناً لا يؤتي من سوء فهم فإن له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم فإنه بحر ذخراً ولا كان متلاعبةً بالدين ولا ينفرد بمسائله بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس وبرهن ويناظر.
قال الأشجري في رحلته: ابن تيمية بارع في الفقه والأصول والفروع والحساب وفئنون أخر، وما من فن إلا وله فيه يد طولى وقلبه وسانيه متقارب.
وقال شمس الدين ابن الحريري قاضي الحنفية بدمشق إنه منذ ثلاث مائة سنة ما رأى الناس مثله.
وكان ابن تيمية يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث، فيورد في ساعة من الكتب والسنة واللغة والنظرما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس. كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء.
وكان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه، وكان من أذكياء العالم له في ذلك أمور عظيمة، منها أن محمد بن أبي بكر

١٩٦١
السكاكيني عمل أبياتاً على لسان ذمي في إنكار القدر، فوقف
عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في
مجلسه قبل أن يقوم بماذا وتسعة عشر بيتاً.
وكان دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قوي التوكل،
رابط الجأش، له أوراد وأنكار يدمنها قلبيّة وجمعية.
كيف تعلمتم الإسلام
في الأندلس النصرانية
أطلعني الله على دين الإسلام بواسطة والدي
رحمه الله عليه وأناساً من عوام أو أقالل، مع أنني كنت إذ
ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ أنيهم ثم أرجع إلى
بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام، فكتبت أتعلم فيهما معاً.
وسنّي حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام فأخذ والدي لوحاً
من عود الجوز كانت أنظر إلى الأزائ من غير طفل ولاغبرة،
فكتب لي فيه حروف الهجاء وهويسأني حرفًا حرفًا عن
حروف النصارى تدريباً وتقريراً، فإذا سميت له حرفًا
أعميماً كتب لي حرفًا عربيًا فيقول لي هكذا حروفنا. حتى
اعدة على جميع حروف الهجاء في كرتين. فلما فرغ عن
الكرة الأولى أوصائي أن أكتب ذلك حتى من والدي وعمي
وأخي وجميع قرابتنا. وأمرني أن لا أخبر أحداً من الخلق ثم
شدد على الوصية، وصار يرسل والدي فتستلمي ما الذي
يعمله. فأقول لها: لا شيء، فتنقول: أخبرني بذلك ولا تخف
لأنني عندي الخبر بما يعلمني. فأقول لها: أبدأ ما هوعلمائي
شيئاً، وكذلك كان يفعل عمى وأنا أنكر أشد الإنكار. ثم أروح إلى مكتب النصارى وإلى الدار في علمي والدي إلى أن مضت مدة فأرسل إلي من إخواني في الله الأصدقاء فلم أقرأ لأحد قط بشئ مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى نفسه للهلال لِإِمِكَان أن أُخْيِر بذلَك عنه فيحرق لا محال، ولكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييدها وأعانها على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين.

وقد كان والدي رحمه الله تعالى يعلموني حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتها للأصنام وذلك أنه قال لي: إذ أتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرأ في نفسك سراً قوله تعالى ، يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولواجتمعوا له، وإن يسلمهم الذباب شيئاً لا يسترقوا منه، ضعف الطالب والمطلوب، وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون إلى أخرها، وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى: وبكرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنما قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لي شك منه، سالمهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه بقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزراً حكيمًا.

٧٢٧
فلما تحقّق والدي رحمة الله تعالى أنّي أكثّم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلًا عن الأجانب أمرني أن أتكلّم بإفشاءته لوالديتي وعمي وبعض أصحابه الأصدقاء فقط. كنا نأتون إلى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع. فلما رأيت حزني مع صغر سنّي فرح غاية الفرح وعرفني بأخلاقه واحترامه وأخواني في دين الإسلام فاجتمعت به واحداً واحداً.

وسافرت الأسوار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيّان مدينة ابن سالم إلى غرناطة وإلى قرطبة وأشبيلية وطيطلقة وغيرها من مدن الجزر الخضراء أعادها الله تعالى للإسلام، فتلخص لي من معرفتهم أني ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثوني بأمور غرناطة وما كان بها في الإسلام حينئذ وما أقوله بعد وقته قبل فنسدي عال لكونه ما تاء إلّا بواسطة واحدة بيني وبين الإسلام بها. فياجتمعا بيهم حصل لي خير كثير، وله المنة. وقد قرأوا كلهم رحمة الله على شيخ من شيوخ غرناطة أعادها الله للإسلام يقال له الفقيه الوطأسي رحمة الله تعالى ونفعنا به، فإنه كان رجلاً صالحاً وليباً لله فاضلاً راهداً ورعاً عارفاً سالكاً، ذا مناقب ظاهرة مشهورة وكراكات ظاهرة.
مأثورة، قد قرأ لقرآن الكريم في مكتب الإسلام بغرناطة قبل استيلاء العدو عليها، وفيها ثماني أعراض، وقرأ الفقه وغيره على مشايخ أفراء حسب الإمكان لأن الوقت ضاق في السر والإعلان. لشدة الفتال والحصر الذي كان عليهم مع صغر سنهم، ثم بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدي المسلمين أجدادنا، وقد أذن العدو في ركوب البحر والخروج منها لم أراده وبيع ما عنده وإثباته لهذه الدار الإسلامية أبقاها الله تعالى عامرة بالإسلام إلى يوم الدين، وذلك في مدة ثلاثة أعوام، ومن أراد أن يقيم على دينه وماله فليفعل بعد شروط اشتراكها والزامات كتبها عدوانودين على أهل الإسلام، فلما تحركوا لذلك أجدادنا وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم للخروج من بينهم، وجاز إلى هذه الديار التونسية والخضرة الخضراء بعثة من جاء إليها حينئذ ودخلوا في رقاق الأندلس المعروف بهذا الاسم وذلك سنة اثنتين وتسع مائة، وكذلك للجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها، ورأى العدو العزم فيهم لذلك نقض العهد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم، ومنعهم قهرأ عن الخروج واللحظة بإخوانهم وقرابتهم لدار الإسلام، وقد كان العدو يظهر شيئاً ويفعل بهم آخر مع أن المسلمين أجدادنا
استنجدوا مراً ملوك الإسلام كملك فاس ومصر حينئذ فلم يقع من أحدهما إلا بعض مراحلت ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ثم بقى العدو يحتم بالكفر عليهم غضباً، فابتدأ يزرع لهم الديانة الإسلامية والجماعات والحمامات والمراحلية شيئاً فشيئاً مع شدة امتناعهم والقيام عليه مراً، قتالهم إياه، إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق في علمه، ففيهما بين أظهرين وعندالدين يحرقص بالنار من لاحت عليه أمارة الإسلام ويعذبه بأنواع العذاب، فكم أحرقوا وكيم عذبوا وكيم نفوا من بلادهم وضععبا من مسلم، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

سيدي محمد بن عبدالرفيع الأندلسي (٥٢٠ هـ)
وصف قلم

أهـّدِي إلي سيدي
يا حبـّـي تلك العلي
هوـخير ما يهـدِي إلى
يسـقى العبـاد بريقه
كم خاـلم ناـلوا بـه
كم مـعـدم حـازوا بـه
تـفـرـى الأمور بـحده
سيف صقيل في الوهـي
يرمي البـغاة بسـهمه
وبطرـفه تخبوـلفتـه
بعد الـذلـل والوـهـى
عـزاً عزيـزاً والمنـن
فيهـب يمشى مـن وسن

١ يعني الشاعر به الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وقد أهدي إلى الناظم قلماً مطبوعاً عليه اسمه في رجوعه من حيدرآباد دكن .
يروي الظلماء زلالـته
يشفي العليـل بطبه
كم مفحمـ ألقى به
يسقي الجدـيب بنبعه
فلثمـه متـبـراكـاً

(محمد ناظم الندوي)
عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

الإمام المجاهد المظفر الموسوعي في شاهان الغازي المؤيد من الله، القائم بنصرة الدين الذي أيد الإسلام وفتح الفتوحات العظيمة وسوس الأمور وأحسن إلى الرعايا، وصرف أوقاته في القيام بمصالح الناس بما يرضى به رب العالمين، من صيام وقيام ورياضة لا يتفسد بعضها لأحاد الناس فضلاً عن الملوك والسلاطين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولد ليلة الأحد بخمس عشرة خلون من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وألف بقرية دوحة على مأة ميل من أجين، وسبعين ميلاً من برودة من بطن أرجمند بانوبنت أصف خان أبي الحسن بن غياث الدين الطهراني في أيام جده جهانكير بن أكبر شاه، ونشأ في مهد السلطة وتتبل في أيام جده وأبيه وقرأ العلم على مولانا عبد اللطيف
السلطان بورق ومولاننا محمد هاشم الكيلاني والشيخ
محي الدين بن عبد الله الباهري وعلى غيرهم من الأساتذة
وأخذ خط النسخ عن الحاج القاسم والمستعليق عن السيد
علي بن محمد مقيم الماهرين في الخط حتى كتب خط
المنسب وصار مضرب المثل في جودة الخط، وبرز في كثير
من العلوم والفنون، وبائع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ
أحمد السرهندي وأخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن
محمد معصوم المذكور، وكان يلازمته بأمر والده لذلك حتى
حصته له نفحة منه وبشره بأشياء وشستر ذكره في حياة
والده وعظم قدره فولاه والده الأعمال العظيمة في أرض دكن
فباشرها أحسن مباشرة، ثم حصل لوالده مرض صعب
عطله عن الحركة وكان ولى عهده من بعده أكبر أولاده دارا
شكو فبسط يده على البلاد وصار هو لمراجع والسلطان
معنئ، فلم ترض نفسه إخوته بذلك فنهض شجاع من
بنكائه ومراد بخش من كجرات وعالكير من أرض دكن كل
منهم يريد أن يقبض على أخيه دارا شكو ويتولى الملكة،
فاتفق عاملكير ومراد بخش على ذلك فقاتلوا وغلبوا عليه، ثم
احتال عاملكير على مراد بخش وقبض عليه وأعتقل أخوئيه ثم
قتلهم لأمور صدرت منهما وأفتى العلماء أنهما استوجبان.
القتل وحبس والده في قلعة أكبر أباد وهياً له ما يشتهيه من ملبوس وماكول وأهل الخدمة من الجواري والغلمان، وكانت جهان آرا بيكم يشتري شاه جهان تقيم مع والدها في القلعة، والسيد محمد الحسيني الفنوجي يلازمه يشتنع عليه ويداكره في ما ينفعه في عقباه.

وجلس عالم كبير على سريره الملك سنة ثمان وستين، وألف فافتتح أمره بالعدل والإحسان ورفع المطالع والمكوس، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين وصارت بلادهم تحت طاعته، وجبييت له الاموال وأطاعته البلاد والعباد ولم يزل في اجتهاد من الجهاد ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته بعد أن خرج منه، فكلما فتح بلاداً شرع في فتح أخرى حتى حقت حدود ملكه في الجهة الشمالية إلى حدود خيوه وبخارا، وفي الجهة الجنوبية إلى البحر البحريط، وفي الجهة الغربية إلى سومنات على شاطئ بحر الهند، وفي الجهة الشرقية إلى بوري منتهى أرض أريسه.

وكان عالم كبير عالماً ديناً تقياً متوعداً متصلاً في المذهب، يتدين بالذهب الحنفي لا يتجاوز عنه في قول ولا فعل، وكان يعمل بالعزمية وكان يصل إلى الصلوات المفروضة في أوائل أوقاتها بالجماعة في المسجد مهما كان، ويقيم ١٨٠٠.
السنين والنوافل كلها. وصلي صلاة الجمعة في الجامع الكبير، ولو كان غالبًا كن الباحة أمرًا من الأمور يأتيهما يوم الخميس وصلي صلاة الجمعة ثم يذهب حيث يشاء، وكان يصوم في رمضان في شدة الحريدي الليالي بالتوازي ويعتكف في العشرة الأخيرة من رمضان في المسجد، وكان يصوم يوم الاثنين والخميس والمجمعة في كل أسبوع من أسابيع السنة. وصوم في أيام ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصوم فيها، وكان يخرج الزكاة من أمواله قبل أن يجلس على سريره الملك وبعدة مما خص لنفسه من عدة قرى وبعض معاذن الملك للمصادر الخاصة من نقر وقلمه، وكان يريد أن يرحل إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة في أيام والده فلم يرض بفراقه وبعد ذلك لم تصله المصالح الملكية. ولكن كان يرسل الناس إلى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ويبذل عليهم العطاءات الجزيلة ويبعث إليهما أموالا طائلة لأهل الحوائج في أيام الحج بعد سنة أوستين. ويوظف الداركريس والذاكرات ويجعل لهم الأرزاق السنوية، ويداوم على الطهارة بالوضوء، ويجفف على الأذكار والأدعية المتأثرة على النبي صلى الله عليه وسلم في غالب أوقاته، ويحيي الليالي المتبركة بالصلاة والصدقة.

81
وكانت حسبة العلماء والشيوخ في المسجد، وكان يحتذى عن كل سوء ومكره منذ نعومة أظفاره، لم يشرب الخمر قط ولم يقارب امرأة لا تحب له، وكان لا يستمع للغناء بالزمار منذ جلس على سرير الملك مع أنه كان ماهرًا في الإيقاع والنغم، وما كان أن يلبس الملبوسات غير المشروعة وما كان أن يأكل في الظروف الذهبية والفضية، وأمر أن تصاغ الجوهر الثمينة في الحجر اليدب مقام الذهب، ونهى الأمراء أن يلبسوا غير المشروع، وكان يمنعهم أن يتذاكروا بين يديه بكذب وغيبة وقول الزور، وأمرهم أن يعبروا عن الأمور المستكرهة إن وقع لهم حاجة إلى ذلك، وكان موزعاً لأوقاته فوقة للعبادة ووقت للمذاكرة ووقت لصالح العسكر ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الوردية عليه كل يوم وليلة من مملكته لا يخلط شيئاً بشيء.
عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

(2)

ومن مآثره الجميلة أنه حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على سريره الملك فأرخ بعد العلماء لبدء حفظه من قوله "سنقرئك فلا تتسب" ولتمامه من قوله "لوج محفوظ".

وكانته له معرفة بالحديث، له كتاب الأربعين جمع فيه أربعين حديثاً بعد الولاية، وترجمهما بالفارسية وعلق عليها فوائد نفيسة، وكانت له مهارة تامة في الفقه يضرب به المثل في استحضار المسائل الجزئية.

وكان بارعاً في الخط كتب مصحفاً بيده قبل جلوسه على السرير وبعثه إلى مكة الكرم وبدل جلوسه مصحفاً آخر وبعثه إلى المدينة المنورة، وأنسخ الألفية لابن مالك في صباه وأرسلها إلى مكة لنتمتع بها الناس من أهل البلدة المبارك، وكان ماهراً في الإنشاء والتراشل لم يكن له نظير في زمانه في ذلك، وقد جمع المؤلفون شيئاً كثيراً من رسائله في (82)
كتبت كثيرة، وكان مقتدرًا على الشعر، ولكنه كان قليل العناية به يمنع الناس من أن يضيعوا أوقاتهم في ذلك. وكان ماهرًا في الرمي والطعن والضرب والفرسية وغيرها من الفنون الحربية شجاعةً مقداماً بسلاسة، وكان والده شاه جهان يومًا يتفرج في البحير المشرف على نهر جمن على مصارعة الأفيال، وكان عالكير أيضًا في الزهام وهو يومئذ في الرابع عشر من سنه وكان على فرس، وإذا بفيلة قد ثارت ففر الناس كلهم وثبت عالكير وتوجهت إليه الفيلة ولفتت فرسه بخرطومها وصرع عالكير من صهوة الفرس ثم قام وسل السيف عليها وجاء الناس ودفعوا الفيلة بالضرب والطعن وإيقاد النار.

وكانت سخياً جوادًا كرماً يبذل على الفقراء وأهل الحاجة العطاء الجزيلة ويسامحهم في الغرامات. أبطل ثمانية نوعًا من المكوس في سنة تسع وستين وألف، ونهى عن مطالبة الأبناء بغرامات الآباء ومصادرة أموالهم في القضاء، وبذل أموالًا طائلة على إصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند، وحفر الآبار وأجبر العيون وأسس الجسور وريابات وحمامات ومساجد واصطبلات لأين السبيل يستريح الناس بها فظلوا آمنين مطمئنين. وبذل الأموال الطائلة في بناء...
المسجد، وبنى مساجد كثيرة في أرض الهند وعمر القديمة
منها وجعل الأرازة والرواتب للمساجد من بسط وسرج وغير ذلك، وأسس دور العجزة في أكثر البلاد زيادة على ما كان في
العصور الماضية، والمدارس في أكثر البلاد، وكان يرسل
العطايا الجميلة إلى أهل الحرمين الشريفين زادهما الله
شرفاً بعد سنة أو سنتين، ووظف خلقاً كثيراً من العلماء
والشيخين ليشغلو بالعلم والإفادة منقطعين فارغين القلوب
عن هموم الدنيا، وكان يتصدق بتسع وأربعين ألفاً ومئة ألف
في السنة غير ما يتصدق به في الأعياد والمواسم.
وكان مقتضداً في الخيرات غير مصرف في المال لا
يعطي الشعراء شيئاً ولا لأهل الإيقاع والنغم خلافاً لأسلافه
إيهم كانوا يبذرون في المال تبذيراً كثيراً، وإذا وظف العلماء
وأقطعهم اشترط بالدرس والإفادة لكبلا يتخذوها ذريعة
لأخذ المال فقط.
وكان مجبولاً على العدل والإحسان وفصل القضاء
على وفق الشريعة المطهرة، أمر العلماء أن يذروا المسائل
الأقضية من كل باب من أبواب الفقه فدونوها وصنفوا
القضايا العالمية في ست مجلدات كبار اشتهرت في
الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية، وقد بها
859
النفع وصارت مرجعاً للمفتين وأنفق على جمعها مائتي ألف
من النقود وأمر القضاة أن يقضوا بها.
وكان يظهر كل يوم بدار العدل بعد الإشراق فيعرض
عليه ناظر العدلية الأقليمة فيحكم بما ألقى الله سبحانه في
روعه ثم يطلب الناظر بالديوان الخاص فيعرض عليه
المتظلمين فيستنطق المتخصصين ويتأمل في الأقليمة ويجكم
بما أراه الله سبحانه.
وهوأول من وضع الوكالة الشرعية في دور القضاء
فولى رجالاً من أهل الدين والأمانة في دور القضاء بكل بلدة
وعمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغث عليه في الحقوق
الشرعية والديون الواجبة عليه وأجاز للناس أن يستغثوا
عليه عند القاضي، وهوأول من نصب المحتمييين في بلاده
وامتاز في الملوك التيمورية في ذلك.
قال المحبى في خلاصة الأثر هومدن يوصف بالملك
العادل الزاهد فإنه مع سعة سلطانه يأكل في شهر رمضان
رعيفاً من خبر الشعير من كسب بعضه، ويلصى بالناس
التراويح. وأمر من حين ولي السلطنة برفع المكوس والظلم
عن المسلمين، ونصب الجزية بعد أن لم تكن على الكفار وتم
له ذلك مع أنه لم يتم لأحد من أسلافه أخذ الجزية منهم
876
لكثرتهم وتغلبهم على إقليم الهند. وأقام فيها دولة العلم وباللغة.
في تعظيم أهله وعزمته شوكته وفتح الفتوحات العظيمة.
وهومع كثرة أعدائه وقوتهم غير مبال بهم مشتغل بالعبادات، وليس له في عصره من الملوك تظير في حسن
السيرة والخوف من الله تعالى. والقيام بنصرة الدين.
توفي عالكير في دكان في شهر ذي القعدة الحرام سنة
1118 ه وأقام في الملك خمسين سنة.

(نزهة الخواطر للشيخ عبدالحي الحسني)
تجارب رابحة

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزِ

الحكيمِ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْتَغُوا مَا لاَ تَفْتَلُوْنَ كَبِير

مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقْتُلُوا مَا لاَ تَفْتَلُوْنَ. إِنَّ اللَّهَ يَحْبِبُ الَّذِينَ

يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بَنِي أَمَيْمَانٍ مَرْصُوصٌ، وَإِذْ قَالَ

مُوسَى لِقُومِهِ يَقُومُ لِتَفْتَلُوْنَ وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَرَاغَ اللَّهُ قَلُوبَهُمْ وَلَعَلَّهُ يَهْدِي الْقُوَّمَ

الفَاسِقِينَ، وَإِذْ قَالَ عُيُسَى بِنِي مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى

رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مَصْدِقًا لَا يُبيِّنُ كَيْبًا مِنَ التُّوْرَةِ وَمِبْشِرًا

بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِهِ أَسْمَاهُ أَحْمَدَ، فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيْنَاتِ

قَالُوا هَذَا سَحْرٌ مُبِينٌ، فَمِن أَظُلِّمِ مِنْ فَتْرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِّبِ

وَهُوَ يُبِيعُ إِلَىِ الْإِسْلاَمِ فَاللَّهُ لَا يُهْدِي الْقُوَّمَ الْظَّلِيمِينَ يَرَيْدُونَ

لِيَُطِفُّوْاْ نُورَ اللَّهِ بَأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مِثْلُ نُورِهِ مَثِيلُ الكَافِرِينَ

هَوَالَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهَدِى وَدِينَ الْحَقِّ لِيَظْهَرَهُ عَلَى الْدِّينِ

كُلُّهُ وَلَوْ كَرَهُ المُشْرِكُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هِلَ أَنْمَآهُمْ عَلَى

۸۸
تجارة تنجيك من عذاب أليم، تنؤمنون بالإله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم. ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويخللكم جنّت تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنّة عدن. ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين. يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاره إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيَّدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

(الصف)
الشيخ نظام الدين اللكدنوي

الشيخ الإمام العالم الكبير،علامة الشهر صاحب
العلوم والفنون، وغيث الإفادة الهتون العالم بالربع المسكون،
استاذ الأساتذة وإمام الجهابذة الشيخ نظام الدين بن
قطب الدين بن عبد الحليم الأسماري السهالاوي ثم
اللكدنوي الذي تفرد بعلومه وأخذ لواءها بيده، لم يكن له
نظير في زمانه في الأصول والمنطق والكلام.

ولد بسبهالي وتوفي والده مقتولاً وهو في الرابع عشر
والألفم لشهر من سنة، فانتقل إلى لكدنؤ مع صنوه الكبير
محمد سعيد فأعطي عالم أكبر بن شاه جهان سلطان الهند
قصراً بذلك المقام لأبناء الشيخ الشهيد يعرف بفرنكوري محل،
لأنه كان من أبنائه تاجر أفرنكوري، فلما اطمأن قليه خرج من
لكهدنؤ وذهب إلى بلدة جانس وقرأ أكثر الكتب الدراسية على
ملأ علي قلي الجانسي ثم ذهب إلى بلدة بنارس وتعلم على
الحافظ أمان الله بن نور الله البنارسي وقرأ عليه شرح
المواقف، ثم رجع إلى بلدة لكدنؤ وتلمذ على الشيخ علام

٩٠
نقشبند بين عطاء الله الكهنوسي وقرأ عليه الرسالة القوشجية في الهيئة، وقرأ فائحة الفراع وله خمسة وعشرون سنة. ثم تصدى للدرس والإفادة فتكاثر عليه الطلبة وٍخضع له العلماء وطارت مصنفاته في حياته إلى الأمصار والبلاد وتلقى نظام درسه في مدارس العلماء بالقبول، واشتهر (بالدرس النظامي) وانتهت إليه رئاسة التدريس في أكثر بلاد الهند.

وكان مع تبحره في العلوم وسعة نظره على أقواويل القدماء عارفاً كبيراً زاهداً مجاهداً شديد التعبد عميم الأخلاق حسن التواضع كثير المؤاساة بالناس، وكان لا يتقيد بتكبير العبادة وتطويل الأكمام والطبلسان، أخذ الطريقة القادرة على الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحيم البانسوي وبايعه وله أربعون سنة.

قال السيد غلام علي البلكرامي في سبحة المرجان أنا دخلت لكهنو في التاسع عشر من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وأربعين ومسأة وألف، واجمعت باللائمة نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين، يلمع على جبينه نور التقديس.

ومن مصنفات الشيخ نظام الدين شرحان على
مسلم الثبوت للقاضي محب الله الأطول والطويل، وشرح على منار الأصول وشرح على تحرير الأصول لابن الهمام وشرح على المبارزية وحاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازي، وحاشية على الشمس البارزة للجونيوري وحاشية على شرح العضدية للدواني وحاشية على الحاشية القديمة، وله المناقشة الرزاقية كتاب بالفارسي في أخبار شيخه عبد الرزاق.

وأما تلامذته فإنهم كثيرون أجلهم السيد كمال الدين العظيم آبادي والسيد ظريف العظيم آبادي، والعلامة كمال الدين فتح بوري والشيخ غلام محمد البرهان بوري ومولانا حقاني التاندوي والشيخ عبد الله الأميتهوي والشيخ أحمد بن غلام نقشبند اللkehنوي وحmad الله بن شكر الله السنديليوي والشيخ عبد الرشيد الجونيوري المدفون بلكهنؤ والشيخ وجيه الدين الدهلوي، ومولانا غلام محمد عمر الشمس آبادي ومولانا غلام فريد محمد آبادي ومولانا محمد المالكي التلمساني والسيد شاكر الله السنديليوي والشيخ محمد حسن بن غلام مصطفى وصنبه محمد ولي والشيخ أحمد عبد الحق بن محمد سعيد وولده ملك العلماء عبدالعلي محمد وخلق كثير من الناس.
توفي يوم الأربعاء لثمان خلدون من جمادي الأول
سنة 1171 هـ في حصاة المثانة وقد جاوز سبعين سنة.

(ذُهَّة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)
من الشنق إلى النفتي

في اليوم الثاني من شهر مايو سنة 1864م جلس أيدوريس القاضي الإنكليزي على كرسي في محكمة أنباله، وجلس بجنبه أربعة من وجهاء البلد ليروا رأيهم في القضية. وقف أمامهم هؤلاء أحد عشر رجلاً ينطق وجهوه وملامحهم بشرفهم وبراءتهم. ولكنهم من كبار الجناة والجرمين، فإنه يقال إنهما دُبروا مؤامرة ضد الحكومة الإنكليزية في الهند، وكانوا يساعدون أنصار السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد والمجاهد الجليل الشيخ إسماعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال والرجال يرسلونها سراً من داخل البلاد بحكمة عجيبة، وكانوا وضعوا لرسائلهم لغة رمزية وكانوا يجمعون إعانات من رعايا الإنكليز أنفسهم ويرسلونها إلى مركز الثوار. أعرت على ذلك الحكومة بوشاية جندي مسلم في جنود الإنكليز وأسرتهم في بتنه وتهانيس ولاهمور وحاكمتهم. وهذا يوم يصدر فيه الحكم عليهم.
غصت المحكمة بالزائرين فقد كانت القضية حديث المجالس، وحان صدور الحكم فكشفت الأصوات وأصغت الآذان واضطربت القلوب وخففت الأصوات، وإذا بالقاضي يتكلم في صوت الغضبان ويضايق شاباً جميلاً قوياً يظهر أنه ربيب نعمه وسليل شرف.

"إنك يا جعفر رجل عاقل متعلم ولد معرفة حسنة، بقوانين الدولة وآنت عمدة بلدك ومن سرايه، ولكنك بذلت عقلك وعلمك في المؤامرة والثورة على الحكومة وكتب واسطة في انتقال المال والرجال من الهند إلى مركز الثور، ولم تزد إلا أن جحدت وعانت، ولم تثبت أنك كنت مخلصاً وناصحاً للدولة وها أنا ذا أحكم عليكم بالإعدام ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار، ولا يسلم جسدك بعد الشنق إلى ورثتك بل يدفن في مقبرة الأشقياء بكل مهانة وسأكون سعيداً مسروراً حين أراك معلقاً مشيئاً.

استمع الشاب في سكينة ووقاً ولم يتخيل ولم يضطرب، ولما انتهى القاضي من كلمته قال محمد جعفر: إن النفوس والأرواح بيد الله تعالى، يحيى ويميت. وإنك أيها القاضي لا تملك حياة ولا مماتاً ولا تدرى من السابق ومنه الموت.
فوالله ما أدرى وإني لصادق 
على أين تغدوا لمني أول
ثار الرجل غضباً وجنوته، ولكنه قد أطلق آخر
سهم من سهامه لا يملك غيره.

استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم وتلملم وجهه فرحاً وكأنما تمثلت له الجنينة. وتمثلت له الحور والقصور وتمثل ببيت الشاعر:

هذا الذي كانت الأيام تنتظر
فليوفق لله أقوام بما نذروا
فقضي الناس العجب مما رأوا ودنا إلى محمد جعفر
ضابط إنكليزي يقال له بارسن، وقال له: لم أركاليوم قد
حكم عليك بالإعدام، وأنت مسرور مستبشر قال محمد جعفر:
وما لي لا أفرح ولا استبشر وقعد رزقى الله الشهادة في سبيله، وأنت يا مسكون لا تدري حالاًها.

وحكم القاضي على رجلي آخرين بالإعدام أحدهما شيخ تلوح عليه سبما الصالحين وآية العبادين قد تلقى النبا في سرور وشكر وهمولانا يحيى على الصادقورى أمير
هذه الجماعة، والآخر شاب يظهر أنه من الأغنياء والتجار الكبار وأن أصله من بنجاب وهو الحاج محمد شفيق، وحكم

٩١
على الثمانية الباقية بالنفي المؤيد.

سمع الناس المجتمعون الحكم في حزن وأسف شديد.
وفاضت العيون وسالت الدموع. واجتمع الناس من رجال
ونساء على جانبي الشارع إلى السجن ينظرون إلى هؤلاء
البؤساء ويرثون لهم.

ووصلوا إلى السجن ونزعت ثيابهم وألبسوا ثياب
المجرمين، وسجن كل واحد من الثلاثة في حجرة ضيقة
مظلمة لا يدخل فيها الهواء ولا ينفذ فيها الذور وباتوا فيها
في حر شديد بشريلة باب بها قوم وجاءت بكرة برقية
تسمح لهم بالبيت في الميدان.

وفي النهار أعيدوا إلى حجراً منهم الضيقة، وكان لا
يمكن لأحد أن يعيش في مثل هذه الحجرة الضيقة مدة
أسبوع، ففتح بابها وعين جندي ليحرس هؤلاء الجناة
أكثرهم من الكفار، فكان مولوي يحبسه علي يغتنم الفرصة
وأتى بأسلحة يوسف الصديق عليه السلام ويخاطب الحارس
ويقول: "أرباب مترقرون خير أم الله الواحد القهار.
فيظلم الرجل باكياً فإذا نقل من مكانه حزن حزناً شديداً.
وهكذا غرس الشيخ في قلوب كثير من أصحاب
السجن عقيدة التوحيد وبدر فيها بذور الإيمان وكم من

47
رجال أسملوا، وكم من الناس تابوا، وكان الشيخ لا يضيع فرصة، فإذا صادف أحداً أمره بالمعروف ونهبه عن المذكر. وبدأ زبانيه السجن يضعون لهؤلاء حبلاً وعوذاً للتنقّل على مرأى منهم ومسمع، وهؤلاء يرون كل ذلك مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم بحزنون.
أما مولانا محيى على فهو من أشد الناس فرحًا، كأنه من شوق الجنة في الدنيا ومن انتظار النعيم في النعيم، ينشد الأبيات في حنين ووجود، ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضي الله عنه عند شفقة.
ولست أبالي حين أقتل مسلمًا
على أي شق كان في الله مصري
وذلتك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
وذلك رفقته، وجهة ضاحكة مستبشرة ونفس هادئة مطمئنة، وقلوب راضية مسرورة، خشوع في الصلاة وعبادة في نشاط وذكر وتسبيح وتلاوة آيات وحنين ووجود، وإنشاد أبيات.
من الشنق إلى النفي

(2)

مات القاضي الإنجليزي الذي حكم على هؤلاء الثلثاء بالإعدام فجأة على إثر الحكم وجن الضابط الإنجليزي بارسن الذي ألقى القبض على محمد جعفر وضبيه يوماً من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الثامنة مساءً، ومات في جنونه شرميهًا. فكان كما أنذر محمد جعفر «رب أخبر أشعت لواقسم على الله لأبره».

وكأن يدخل إلى السجن كثير من الإنجليز والإفرنجيات يترفعون على هؤلاء السجناء يشمتون بمسير الأعداء وكانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم ويسألونهم لماذا لا تخزنون يا هؤلاء وأنتم على عتبة الموت وعلى موعد من الشنق؟! فيجيبونهم: هذا لأجل الشهادة التي ليس فوقها نعمه وسعادة.

وبرجعون إلى الحكام الإنجليز وبحذارتهم بمارأوا ويبما سمعوا فيما يصدرون غيظاً على غيظ، ولكن ماذا يصنعون؟
إنهم إذا أطلقوا فقدهم أو أطلقوه أعداءاً قد ثاروا على الدولة وإنهم سيرجعون إلى ذلك وإذا شنقوهم وقتلهم فقد بلغوه أملهم واجتهدوا في سرورهم.

قد عز على الإنجليز كل ذلك ولم تطب أنفسهم به فكروا في القضية وفكروا ووجدوا طريقاً وسطاً بين القتل والإطلاق، والإنجليز أمة قانونية ذكية.

في يوم من الأيام جاء حاكم المدينة الإنجليزي إلى السجن وتلا على الثلاثة المحكومين عليهم بالإعدام حكم محكمة الاستئناف.

"إنكم أيها الأُروء تحبون الشنق وتعدونه شهادة في سبيل الله ولا نريد أن نبلغكم أملكم وندخل عليكم السرور، فننسخ حكم الإعدام ونحكم عليكم بالنفي المؤبد إلى جزائير سيلان.

وهكذا قصت لحاكم وشاعر رؤسهم، وكان مولانا يحيى على يرفع الشعر ويخاطب لحيته المقصورة ويقول:

في سبيل الله ما لقيت وشنق إنكليزي بحب وعود قد أعد لأولئك المسلمين فانعكست القضية.

وأمر السجناء بالاستغلال بأعمال شاقة، وأمر
مولانا يحبی على بنزع الدلاء من بئر، وكانت كبيرة وثقلة لا ينزعها الشبان الآخرين إلا بشق الأنفس، والأستاذ شيخ ضعيف. وكان اليوم صافراً شديد الحر فنزفه الدم في بوله ولكنه استمر في شغله صابراً محتسباً لا يشكون ولا يعن، ثم نقل إلى عمل سهل، فكان يقوم به بأمانة ونصيحة، ويوصي المسجونين الآخرين بذلك أيضاً ويقول لهم: إذا كنتم تتمتعون هذا بطماع ولايس فما بالكم لا ت קונون وظيفكم بأمانة ونسیحة.

ولم يزل الشيخ في السجن آمراً بالعرف ناهياً عن المنكر داعياً إلى الله واعطاً مرشداً، فتاب كثير من المجرمين وآتنوا إلى الله.

وقبل الشيخ من أنبائه إلى لاهور وأقام في سجنه عاماً كاملاً، وكان هنالك الجناء والصوص وقطع الطريق والفساق، فكان يقبض لهم الجنايات والفسوق والعصيان، ويزيزين لهم الدين والتقوى والعفاف، ويبحثهم على الطاعة والتوبة والإنابة وإصلاح الحال، ويدعوهم إلى التوحيد والمحافظة على الصلاة والصيام، ويهذرونهم من عذاب الله وتنقمته فتباب كثير من اللصوص وقطع الطريق، وحسن حالهم وأخليصوا لله الذين وتابوا وأقاموا الصلاة.
وكان من هؤلاء رجل من بلوغستان وكان شديد البطش جباراً. وقد سطأ بخدام السجن سراحًا وضريهم بسلاسله وكان لا يقوم بأعماله ووظائفه. وقد عوقب عقاباً شديداً فلم يتوب ولم يكن. وقد يئس منه زبانية السجن وقطعوا منه الرجاء. وصادف مبيته مرة بالقرب من الشيخ وأثر كلامه في قلبه فحسن حاله وصار يؤدى وظيفته وفكث سلاسله وأعلاله فصار يحافظ على الصلاوات الخمس.
ويبكي خوفاً من الله ومن رآه شهد بأنه ولي من أولياء الله. ولم يزل الشيخ ورفقته ينتقلون من سجن إلى سجن ومن محبس إلى محبس، حتى وصلوا الثامن من ديسمبر سنة 1865م إلى بورت بليز من جزر إنديان، ومات الشيخ هنا بعد عامين قضاهما في عبادة ودين ودعوة الخلق إلى الله. وكان ذلك لعشرين من فبراير سنة 1868م.
أما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه وإطلاقه في الثاني والعشرين من يناير سنة 1883م بعد ما لبث في السجن ثمانية عشر عامًا.

( من إذا هبت ريح الإيمان - للمؤلف )

102
الشيخ عبد العزيز الدهلوي

الشيخ الإمام العظام الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي سيد علمائنا في زمانه وابن سيدهم، لقبه بعضهم سراج الهند وبعضهم حجة الله.

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة 1159 هـ. حفظ القرآن وأخذ العلوم عن والده فقرأ عليه بعضاً وسمع بعضاً آخر بالتحقيق والدراءة والفحص حتى حصلت له ملكة راسخة في العلوم، وما توفي أبويه إلى جوار رحمة الله تعالى ورضوانه وله ست عشرة سنة أخذ عن الشيخ ذوي الله البرهاني والشيخ محمد أمين الكشميري، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي وكانوا من أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته على أبيه.

كان رحمه الله أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه، اشتهل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم المفرد، وتخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة من (١٠٣)
أغلب الأرجاء وتهافتها عليه تهافت الظلام على الماء، هذا وقد اعترته الأمراض المؤله وهواين خمس وعشرين فأدت إلى المراد والجذام والبرص والعمى ونحو ذلك حتى عد منها أربعة عشر مريضاً مفجعاً، ومن ذلك السبب فوض تولية التدريس في مدرسته إلى صنيعي رفيق الدين وعبد القادر، ومع ذلك كان يدرس بنفسه النفيسة أيضاً ويسنف ويفتي ويعظو، ومواعظه كانت مقصورة على حقائق التنزيل في كل أسبوع يوم الثلاثاء، وكان في آخر عمره لا يقدر أن يعود في مجلس ساعة فيمشي بين مدرسته القديمة والجديدة، ويستغل عليه خلق كثير في ذلك الوقت فيدرس ويفتي ويرشد الناس إلى طريق الحق، وكذلك يمشي بين العصر والغرب ويجهيل إلى الشارع الذي بين المدرسة وبين الجامع الكبير فيتهدي بين الرجلين ميناً وشمالاً، ويتراقب الناس قدمته في الطريق ويستفادون منه في مشكالاتهم، ومن الأمراض المؤله فقدان الاشتياء إلى حد يقضي أياماً ولياماً لا يذوق طعم الغذاء حتى صار الأكل غباً بطريق النوبة كالحمى. وكان مع هذه الأمراض المؤله والأسقم المفجعة لطيف الطبع حسن المحاضرة جميل المذكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع وبشاشة وتودد لا يمكن الإحاطة

(104)
وصفه، ومالاً هو نزهة الأذهان والعقول معاً من الأخبار التي تكشف الأسماع والأشعار المهدية للطباخ والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالشهادة. ولم يكن الأمر كذلك فإننا لم يعرف غير كلّكتنا ولكنه كان باهر الذكاء قوي التصور كثير الباحث عن الحقائق فاستفاد ذلك بوفود أقل الأقطار البعيدة إلى حضرة دهلي، لأنه قد صنف الناس في الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة.
وكان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء ليأخذوا من أدبه ويعرضوا عليه أشعارهم، والملاحفي يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا ويواسيهم بما يمكنه، وكرمه كلمة إجماع، والمرضى يلودون به لداواتهم، وأهل الجذب والسلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره، وغرباء الديار من أهل العلم والصلاح ينزلهم ويحسن مثواهما ويفضل عليهم بما يحتاجون إليه، ويسعى في قضاء أعراضهم ونيل مطالبهم، وإذا جالسه منحرف الأخلاء أومن له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار وجمع بين الضباب والذئاب فلا يفارقه إلا وهوعنه راض.
قال الشيخ محسن بن يحيى الترهات في (البيان الجني)
إنه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس في مدن أقطار الهند، يفتخرون باعتزازهم إليه بل بانسلاكهم في سمعته من ينتمي إلى أصحابه.
قال ومن سجاياه الفاضلة الجميلة التي لا يدانيه فيها عامة أهل زمانه قوة عارضته، لى ينافسه أحداً إلا أصاب غرشه وأصلى رميته وأحرز خصلته ومن ذلك براعته في تحسين العبارة وتحميرها والتأنق فيها وتحريرها حتى عده أقرانه مقدماً من بين حلبة رهانه، وسلموا له قضبات السبق في ميدانه، ومنها فرسته التي أقرده الله بها على تأويل الرؤيا فكان لا يعبر شيئاً منها إلا جاءت كما أخبر به كأنما قد رأها، وهذا لا يكون إلا لأصحاب النفس الزاكيات المطهرة عن أدناس الشهوات الردية وأرجاسها وكم له من خصائص محمودة وفضائل مشهودة، وجملة القول فيه إن الله تبارك وتعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل وشتاته التي فرقها بين أبناء عصره في أرضه ما لوزآه الشاعر الذي يقول:

ولم أر أمثال السرجال تفاوتًا
لدي المجد حتى عد ألف بواحد
استبان له مثل ضوء النهار أنه وإن كان عنده أنه قد

١٠٦
بالغ فيه فإنه قد قصر فكيف الظن بامثالي أن يحسن يعد
مافاخره التي أكثر من حصى الحصبل ومن نجوم السماء،
انتهى:
وكان طويل القامة تحيف البدن أسمر اللون أنجل
العينين، كث الثنجية، وكان يكتب النسخ والرقاع بغاية
الجودة، وكانت له مهارة في الرملي والفسوية والموسيقي،
وللشيخ عبد العزيز مؤلفات كلها مقبولة عند العلماء محبوبة
إليهم يتنافسون فيها ويحتبون بترجيحاته وهوجه بذلك،
وفي عبارته قوة وفصاحة وسلسة تعشقها الأسماع وتلتذ بها
القلوب، وكلامه وقع في الأذهان قل أن يمعن في مطالعته
من له فهم فيبقي على التقليد بعد ذلك، وإذا رأى كلامًا
mتهافتاً زيفه ومزقه بعبارات عذبة حلوة.
وأما مصنفاته وفأشهرها تفسير القرآن السمي بفتح
العزيز صنيفه في شدة المرض ولحوق المضعف إملاءً وهوفي
مجلدات كبار ولكنها ضاع معظمها في ثورة الهند وما بقي
منها إلا مجلدان من أول وأخر، ومنها الفتاوى في المسائل
المشكلة ومنها (تحفة اثنا عشرية) في الكلام على مذهب
الشيعة كتاب لم يسبق مثله، ومنها كتابه بستان الحديثين
وهو فهرس كتب الحديث وتراجع أهلها ببسط وتفصيل
(107)
ولكنه لم يتم، ومنها (العجالة النافعة) رسالة له بالفارسية في أصول الحديث وله غير ذلك من الرسائل.
وأما مصنفاته في المنطق والحكمة فمنها حاشية على (ميرزاهد رسالة) وحاشية على (ميرزاهد ملا جلال) وحاشية على (ميرزاهد شرح المواقف) وحاشية على (حاشية ملا كوسج) المعروفة بالعيزيزية، وحاشية على شرح هديا الحكمة للصدر الشيرازي.
وله شرح على أرجوزة الأصمعي وله مرسالات إلى العلماء والأدباء وتخصيص نفيس على قصيدتي والده البائية والهمزية.
وكان نسيج وحده في النظم وا لنثر وقوة التحرير وعذار الإملاء وجزالة التعبير، وكلامه عفوات الساعة وفيض الراحة، ومسارعة القلم ومسابقة اليد.
توفي بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلوب من شوال سنة 1329 هـ. وله ثمانون سنة. وقبره بدهلي عند قبر والده خارج البلدة.

(نزهة الخواطر – للشيخ عبد الحي الحسن)
دار الالعلوم ديويند
ومدرسة مظاهر العلوم

انقرضت دولة المسلمين في الهند، ورسخت قدم الإنجليز في أرضها سنة 1857م فانبث القوسوس والأحبار في القرى والمدن يدعون الناس إلى النصرانية ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم ويغرسون في قلوب العامة الشك والزمن، وقام بعض المسلمين الذين دخلهم الرعب يدعون إلى تعلم اللغة الإنجليزية وأدابها على علاتها، ويرمون في ذلك دواءاً لكل داء، وتدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية ومحاكاة سادة البلاد في كثير من أخلاقهم وأساليب حياتهم، فكان المسلمون بين خطرين خطر الارتداد وخطر الإتحاد.

وكانت المدارس الدينية وحلقات التدريس التي تخرج منها أئمة وعلماء كبار في احتضار تلفظ نفسها الأخير لعدم حماية الدولة وقلة رغبة الناس في العلوم الدينية، وكان كلما تعطلت مدرسة لم تخلفها مدرسة، وكلما مضى عالم أو أستاذ كبير لم يخلفه آخر، والمدارس الرسمية
وتزداد كل يوم عددًا وتتمتع بحماية الدولة ومساعدة الجمهور.
هذا وقد نشط دعاء البدع والخرافات والمحترفون الذين انتشر في القرى والمدن يدعون إلى رسوم الجاهلية والمحداثات، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، ويضلون العلماء الأخيار ويكفرونهم.
حاف علماء الحق على الدين وعلى علوم الدين، وحافوا على مستقبل الإسلام في بلاد الهند بعد زوال دولته وحلول دولة الكفار، ورأوا أنهم لا ننجهم دولة، ولا تحميمهم قوة، ولا يملكون أموالًا ينفقونها ولا مناصب ووظائف يجذبون الناس إليها، وإنما هم مستضعفون في الأرض، فقراء، ثروتهم العلم، ورأس مالهم الدين، وذاتهم التوكل وسلاحهم الإخلاص، فقاموا وقالوا نبني معقلًا للدين تأوي إليه الشريعة الإسلامية، وتلجلج إليها العلوم الدينية.
في قرية ديبند من القرى التابعة لمدينة سهارن فور في مسجد صغير اجتمعت عصابة من أهل الغيرة والفراسة من العلماء الربانيين أكثرهم من تلاميذ بيت الإمام ولي الله الدهلي، وأصحاب الشيخ الكبير إمداد الله التهاني السكوي على رأسهم الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوي (م: 1298هـ) وأسسوا تحت شجرة رمان هنالك مدرسة

١١٠
دينية. كان ذلك سنة 1283 للهجرة النبوية.

افتتحت المدرسة بتعليم واحد هوا ملا محمود
الديوبندي وتعليم واحد وهوان الشيخ محمود حسن الديوبندي.
فكان يوماً مشهوداً محموداً في تاريخ الهند الديني.

بدأت المدرسة بإعداد فقراء المسلمين وعامتهم.
ورزقت من أول يومها رجلاً عاملين두 خاشعين منثقين. قد تولى الإشراف على شؤونها أمثال العالم
الرباني الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ
رفيع الدين الديوبندي، والمصلح الجليل والمؤلف الكبير
الشيخ أشرف على الاتهانوي. وتولى رئاسة التدريس فيها
أمثال الشيخ الصالح محمد يعقوب الشانوتوي والعالم
الرباني الشيخ محمود حسن الديوبندي والعالم الضليع
الشيخ أنور شاه الكشميري، والمجهذ الشهير مولانا حسين
أحمد المدني. فسارت روح التقوى والإحتساب والتواضع
والخدمة في هذه الدار، فإذا زارها أحد في دورها الأول حسب
أمه في زاوية عامرة من روايا الصوفية.

ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصوبتها يذيع وشهرة
أساتذتها في الصلاح والتفصيلى التبهر في علم الحديث
والفقه تطير في العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند ومن

(111)
الأقطار الإسلامية الأخرى، حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير إلى خمس مئة وألف وزيدة، وبلغت ميزانيتها إلى ثلاث مئة ألف وخمسين ألف روبية سنويًا.

ويقدر عدد الذين اشغلكوا في هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف، وأذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف، والذين ارتدوا بمناهلها من أهل خارج الهند كيغستان وأفغانستان وخيوا وبخارا وقازان وروسيا وآذربيجان، والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى، وتبت، والصين وجزائر بحر الهند، والحجاز والعراق، والبلاد الشامية واليمن نحو خمسمائة.

وكان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند وفضل كبير في محاولة بدعوته وإزالته المحدثات وإصلاح العقيدة، والدعوة إلى الدين وتباع السنة، ومناظرة أهل الغلاص والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محدودة في السياسة والدفاع عن الوطن، وكلمة حق عند سلطان جائر.

ولدار العلوم مكتبة كبيرة تحتوي على مئة ألف كتاب، كثير منها معكر للدرس، وفيها عدد من الكتب الخطية.
وشعار دار العلوم التمسك بالدين والتصلب في المذهب وعدم العدول عنه، والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة، والانتصار لرهط الإمام ولي الله الدهلوي.

وقد تمكست بالدرس النظامي على علاته، وعرضت عليه بالنواجد. وقد بدأت أخيراً دعوة التغيير والإصلاح في منهج التعليم، وعلل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وفي نفس سنة 1283هـ بعد افتتاح دار العلوم ديواند، ببضعة أشهر افتتح رجال من أهل العلم والدين (في مقدمتهم مولانا سعادت على السهارنبوري الفقيه الشهر (1286هـ) من بقية رهط السيد الإمام أحمد بن عوفان الشهيد) مدرسة ثانية في سهارن بور، وكان مولانا سعادت على يدرس الطلبة في بيتها وكان يتمنى أن تتأسس مدرسة نظامية في البلد و كثيراً ما كان يتحدث بذلك، وفي شهر رجب من العام المذكور حقق الله أمنيته فقام رجال من أهل الصلح والعلم من أصدقائه ومعارفه في المدينة وضاحيها وأفتتحوا مدرسة في حي من أحياء البلد في مسجد وولوا الشيخ سخاوت على الأمبيتهو التدريس فيها، وبقى مولانا سعادت على يدرس بعض الدروس.

(113)
ويشرف على شؤون المدرسة، وآل الإشراف على المدرسة بعد وفاته إلى الشيخ فضل الرحمن قاضي البلد.
وفي شوال في العام المذكور تولى رئيسة التدريس الأستاذ الكبير مولانا محمد مظهر النانوتي، وله تسميت المدرسة بمظهر العلوم وزيدت فيها ألف لتنم عن عام بناء بناء المدرسة الخاصة بها يعني عام 1293 هـ على حساب الجمل، وانتقلت المدرسة من المسجد إلى هذه البناية في شوال، وفي اليوم الثامن من هذا الشهر عقد أصحاب المدرسة حفلة مناسبة افتتاحها في بنايتها الجديدة خطبة فيها الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتي خطبة رقيقة بليغة استغرقت ثلاث ساعات.
وفي سنة 1293 هـ أيضاً بدأ الحديث الكبير الشيخ أحمد على السهارن بوري صاحب حاشية البخاري الشهيرة يدرس كتب الحديث في المدرسة ويشرف على شؤونها، وبعد وفاة الشيخين أحمد على وسخاوت على (عام 1297 هـ و200 هـ) تداول التدريس فيها مولانا عبد العظي الميرتزي ومولانا حبيب الرحمن بن الشيخ أحمد علي حتى تبوا رئاسة التدريس الشيخ الصالح والأستاذ الكبير مولانا خليل أحمد الأنبيتهوي صاحب بذل الجهود سنة 1314 هـ
فأخذت المدرسة زخرفها وبلغت أوجها في كثرة الطلبة
وانتشرت الصيت وانتشار الدروس.
وفي سنة 1326 هـ جلاء الشيخ محمد يحيى
الكأندوهي من أنجب تلاميذ الشيخ الكبير مولانا رشيد
أحمد الكنكوهي والمعروف بذكائه وإبداعه فكان مساعدًا
للسيد خليل أحمد رحمه الله.
وفي سنوات سنة 444 هـ لما رحل الشيخ خليل أحمد
إلى الحجاز تولى رئاسة التدريس مولانا عبد الرحمن الكامل
فوري، والإشراف على المدرسة مولانا عبد اللطيف السهارن
بوري، وتولى تدريس الحديث فيها تلميذ الشيخ خليل أحمد
البارع مولانا محمد زكريا بن يحيى الكأندوهي صاحب
أوجز المسالك.
ولم تزل مدرسة مظاهر العلوم متمتعةً من أول يومها
بحماية أعلام الهند في الدين والصلاح كالعالم الرياني الشيخ
رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ أشرف على التفاحي
والشيخ عاشق إلهي الميرتهي والشيخ محمد إلياس
الكأندوهي والشيخ عبد القادر الرأي بوري، وحازت ثقة
المتدينين فكانت تدعو معهد دوميندي في كثرة الطلبة ونبوع
الأستاذة، وقد خرجت عدداً كبيراً من العلماء الصالحين
615
والرجال العاملين في ميادين العلم والدين.

ولعلماء مدرسة مظاهر العلوم آثار جليلة في شرح
كتاب الحديث وخدمة الفن الشريف، من أجلها بذل الجهود
في شرح سنن أبي داوود للشيخ خليل أحمد، وأوجزا المسالك
في شرح المؤظة للإمام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.
وتنتاز مدرسة مظاهر العلوم وأساتذتها وطلبتها
ببساطة في المعيشة والقناعة بالكفاءة وحسن السمت
والتوقيع والإقبال الكلي على العلم والدرس والاشتغال
بخاصية النفس.
من النجوم إلى الأرض

(1)

درست في المدرسة أمس أن النور يقطع مائة ألف وستة وثمانين ميلاً في ثانية. وأنه يمكن له أن يطوف حول خط الاستواء سبعة أشواط في أقل من ثانية.

وسمعت أن من النجوم ما لا يصل ضوءه إلى الأرض إلا في ألفي عام ومنها ما لا يصل ضوئه إلا في أكثر من ذلك وأن ضوء بعض النجوم منذ طلعت لا يزال في طريقه إلى الأرض ولا يصل إليها.

لي غرام شديد بالتاريخ، ولا أزال أطلاله برغبة عظيمة وألمته أمام عيني، كأن الحوادث واقعة والأشخاص أحياء ولا أزال أتأسف على ما فاتني من مشاهدة الحوادث في ساعتها ومن زيارة رجال من عظاء التاريخ في زمانهم، ولم أزل منذ صبائح أقول لوالدي وأصدقائي يا ليتني ولدت في الزمن الماضي فشاهدت كذا وكذا من الوقائع، وزرت فلاناً وفلاناً من الرجال، لقد غاب عنى طوفان نوح، وممنه إبراهيم، وخروج بنى إسرائيل، وسيقنتى بعثة الرسول.
عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف عام، وفاتنتي عهد الخلافة الراشدة، وفاتنتي حضارة بغداد وعهد قرطبية.
وعنفنتي وفاتنتي وفاتنتي وفاتنتي.
وكلنت أعد الحوادث الكبيره والرجال العظماء.
واقول في حزن واسف: لقد تأخرت كثيراً، فانتز الزمان.
وبالفكر يتنافون السفر، وليت العالم يرجع القهري.
وليت التاريخ يرد على أعقابه، فأشاهد ما مضى.
واعمار من سبق.
وكلنت أفكر لوكان أحد فوق نجم لا يصل ضوئه إلى الأرض إلا في آلاف أومات من السنين لرأى العالم كما كان قبل آلاف أومات من السنين، وكذلك يمكن أن يطالع أهل النجوم أمور التاريخ الماضية ويشاهدوا الحوادث.
والأشخاص في زمنهم وفي محلهم.
سارت من ذلك جداً كأنى وجدت ضالى وعرضت.
هذه الفكرة البديعة على معلم الطبيعتين لأنى لا آمن على نفسى الخطأ.
قال المعلم نعم إذا فرضنا أحداً فوق الشمس - وهي تبعد من الأرض ثلاثة وتسعين مليوناً - فإنه يرى في الأرض ما وقع قبل ثانى ثوان فقط فإن ضوء الشمس يصل إلى.

۱۱۸
الأرض في شاني ثوان

وهكذا نترد ونقول من كان فوق النجوم العالية التي يصل ضوؤها إلى الأرض في آلاف من السنين كنا نرى حوادث قبل التاريخ وما وقع قبل آلاف من السنين بعد آلاف من السنين.

لم أذكر في ارتفاع النجوم وبعدها عن الأرض ومطالعة أهلها لما وقع في الأرض حتى لم أشعر إلا وأنني في مكان أطلع فيه الأرض بمكربة كبيرة.

فإذا بي أرى الأرض غير الأرض التي كنت أعرفها والناس غير الذين عهدتهم، أرى المساجد عامة خاصبة بالملصين، وأرى الحدود قائمة وأحكام الشرع نافذة وأجيل مكربتي وأنظر من خلالها فلا أرى فجراً ولا دعارة ولا سكراً ولا قماراً.

واطلعت على بقعة فيها نخل كثيرة ومسجد بسيط قد غشيته سحابة من النور والبركة، وعرفت أنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ورأيت بيوتاً متواضعة قد بنى أكثرها من اللبن. ولكني رأيت هناك سفراء الدول الكبيرة وأبناء ملوك قد أسلموا، فعرفت أن هذه المدينة الصغيرة مع بسطاتها تحكم العالم ويجي إلى إيران وإرمن ورومة.
ويبحثت في هذه المدينة فلم أجد فيها محكمة ولا
سجناً فقلت في نفسي فآين يذهب المتخاصمون وأين
يحبس الجرمون؟ فإذا بي أرى رجلاً جالساً في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم في نباهة مراقبة ألقى عليه
مهابة وجلال. قد حضر لديه خصمان ورفعا إليه القضية
بساطة الأطراف. وقالا: "خصمان يغى بعضنا على بعض
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط. وأهدينا إلى سواء الصراع.
سمع الرجل القضية في هدوء وتأن وقال للمدعى
"البينة على من ادعى واليمن على من أنكر" فهلم عندك
بينة أو أستحيط الرجل؟ وقدم الرجل شهداً عدولًا قضى
له وانفصلت القضية في ساعة. وقام الفريقان ورضيا بحكم
الشرع، فقلت: ولا يحتاج هؤلاء إلى محكمة ومحامين.
ورأيت أبواب البيوت في الليل مفتوحة، ورأيت بيت
الملك وقد أتى إليه خراج إيران في ذلك اليوم ليس له حارس
ولا شرطة، وقد جاء ناجي كسرى وهوبسونايات آلاف من
الدنانير وقد وقع إلى جندي حقي فأخذها إلى أمير الجند،
ورسله أمير الجند إلى الخليفة وجاء بعض السراقة وسرقوا
فقطت أيديهم. فقلت لا يحتاج هؤلاء إلى سجن أو محبس.
وأشرفت على بيوتهم فوجدت معيشة صافية وحياة

(320)
راضية لا يكدرها حسد، ولا بغضاء ولا طمع ولا جشيع، يؤثرون على أنفسهم وولوكان بهم خصاصة، ويهدي جار إلى جار فتدور الهديه على الحي وترجع إلى صاحبها الأول، لا يأكلن فيهم القوى الضعيف ولا يظلم الكبير منهم الصغير ويحنو عليهم الخليفة والأمراء فهم لهم كالأباء ويطيعهم العامة ويوصونهم وينصحون لهم فهم لهم كالأبناء، ويتناسكون بينهم فهم إخوة ..
واطلعت على تكناتهم - وسمعت أن الجند أفسد الناس أخلاقا وأبعده عن الدين والفضيلة في كل زمان - فوجدتهم بالليل رهبانا لهم دوي كدوي النحل، وأما بالنهاج ففسان، يثقعون القنا ويريشون النبل، يوفون بالعهد ويامرون بالمعروف ويتهمون عن المتكب لا يأكلون في ذمتهم إلا بثم ولا يدخلون إلا بسلام، ويعفون عن المحارم ويعفون البصر، فقلت إذا كان الجند فيهم هكذا فكيف بالعباد الزهد.
قلت لعل هذا دور الخلافة الراشدة، وصدقت ما قرأت في التاريخ، وقلت ذلك قليل من كثير.

(121)
من النجوم إلى الأرض

(๒)

ونزلت أسفل من ذلك المكان فرأيت الأمور قد تغيرت وأن العاصمة قد تحولت من المدينة - على ساكنها ألف ألف سلم - إلى دمشق الشام، فإذا قصور عالية قد علقت على أبوابها ستور جميلة وكسيت جدرانها بثياب فاخرة، وإذا مسجد شامخة تناطح منارتها السماء وهي عامرة بالمصلين، ورأيت فيها حلقات الدروس ومجالس العلم وهي غاية بطلبة علم الدين، والشيوخ يحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم والناس يكتبون ويفتحون.

ورأيت الناس أنواعًاً منهم الزهد والعباد وطلبة العلم ومنهم المشرفون، ورأيت آثار الحريه والترف ورأيت الناس طبقات في الغنى والثرية والجاه والشرف، فهذا ابن الخليفة في زهوه وخيلائه، وذلك عامل العراق في خدمه وحشه، وهذا سوقي وذلك شريف.

ورأيت بعض الحدود قائمة وبعض أحكام الشرع

١٢٢
نافذة، ورأيت العلماء وأهل الدين يحتسبون على الناس متطوعين فيخضعون لهم ويهسلمون، ورأيت الناس غير مجاهرين بالفسق، غير مصرين على المعصية يحتسبون أهل الدين والعلم.
ورأيت الخليفة والأمير مع ترفه يصلي بالناس ويكلب فيهم وجلس لهم ورأيت مدينة عربية فالخلفاء يصلون الشعراء بجواز كبير، وينحررون جزوراً ويطعمون الناس، ورأيت دولة المسلمين قد اتسعت حتى امتدت إلى حدود الهند في جانب، وإلى ساحل البحر الإفطاليكي في جانب آخر لا تقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل.
فقالت لعل هذا عصر الأمويين ولعل في نهاية القرن الأول.
ثم انصرفت إلى أسفل، فرأيت مدينة حديثة على ضفتي دجلة ورأيت مدينة خليفة، فيها صور عربية وفيها صور عجمية، والناس أخلاطاً فيما العرب وفيهم الفرس وفيهم أهل الهند، وكثير منهم الترك، ورأيت قصر الخليفة مثل قصور ملوك العجم يحرسه الترك، وكذلك قصور الوزراء والأمراء، ورأيتهم يخرجون في مواقب ملكوية في أبهة عظيمة.
ورأيت بعض الناس يريون الحمام ويشترونه بأثمان غالية ويتشارشون بالديوك والكلاب. ورأيت أنواع اللهو واللعب. فقلت جاء هذا من كثرة الأموال واختلاط الأعاجم.

ورأيت القضاة وقاضي القضاة قد ازدادهم عليه المتظلمون وهو يقضي بينهم وقد تأخذ قضية أياماً، ورأيت السجون قد غصت بالجرمين واللصوص والشطار.

ورأيت كذلك مساجد مزدهمة بالصلين، ومدارس غاية بطلببة علوم الدين، ومجالس الوعظ عامة بالمستمعين. ورأيت الناس يجزون نواصيهم ويخرمون مغشيًا عليهم ويتوبون عن المنكرات، ويسلم كثير من أهل الدمة كل جمعة، فقلت إن الناس لم يفقدوا قلوبهم وإن الدين لا يزال له سلطان على القلب والروح.

ورأيت كذلك رجلاً منقطعين عن الدنيا معرضين عن الملوك وجوائزهم وصلاةهم، يأتي إليهم الناس من خراسان والهند وإيران ويستفيدون، وتأتيهم الدنيا راغمة وياأتيهم الملوك والأمراء صاغرين، فرأيت دولة دينية تزاحم الدولة المادية وتتفوقها في العزة والسلطان.

ورأيت أكبر دولة على وجه الأرض ينظر ملكها

(124)
أو الخليفة - كما يقول الناس في تلك البلاد - إلى سحابة فيقول: "أمطرى حيث شئت فسيأتيني خراجك". فقلت هذه بغداد عاصمة الدولة العباسية ولعل في القرن الثالث.

وحانت مني التفانى إلى خليج جبل الطارق فرأيت على ضفته مدينة راخرة العمران شامخة البنيان، ورأيت فيها قصوراً متسقة وحدائق متناسبة وشوارع مرصوفة وعيوناً متدفقة وجسوراً منصوبة ومساجد مزخرفة ومدارس مشيدة فتذكرت ما قرأت في التاريخ عن مدينة قرطبة وعرفت أن مساحتها ستة عشر ميلاً في الطول، وستة أمنيال في العرض، وأن فيها مئة ألف وثلاثة عشر ألفاً من القصور والمنازل وثمانون ألفاً وأربع مئة من الدكاكين، وسبع مئة من المساجد وتسعة مئة حمام، وأربعة آلاف وثلاثة مئة مخزن، وإحصاء المدينة يريعل مليون.

ورأيت في المدينة متنزهات فسيحة وحدائق ذات بهجة، وطرفاً وشوارع مبلطة بالحجر، وسرادات من الصوبة يأوى إليها الغرباء والباعة والسابلة في الحرو والشم ورأيت الأسواق مشحونة بالبائعين والسلع الغالية التي جلبته من بلاد بعيدة، ورأيت رباطات للجوابين والتجار.

(120)
رأيت بجنب مدينة قرطبة مدينة صغيرة ما رأيت أجمل منها على وجه الأرض قلبت لعلها مدينة الزهراء المعروفة في التاريخ، أنا في القرن الرابع، وهذه أيام ملك الأندلس عبد الرحمن الناصر أوايته حكم الثاني.
من النجوم إلى الأرض

(3)

وصرفت نظري من الغرب إلى الشرق، فرأيت دولة قوية واسعة قاعدتها نيسابور تحكم خراسان والعراق وإيران، وينحكم ملوكها في بغداد وينصبون ويعزلون وينزولو ملوكهم ألب أرسلان الأفرينج في ديارهم ويأسر ملكهم النصراني ويشرب عليهم الجزية، وقد بلغت هذه الدولة أوجها في عهد ملك شاه ووزيره الفاضل نظام الملك الطوسي فرأيت المدرسة النظامية في بغداد عارفة أهلها يدرس فيها مثل الإمام أبي حامد الغزالي، وتنفق عليها الدولة السلجوقية، ورأيت شقيقتها المدرسة النظامية في نيسابور يدرس فيها مثل إمام الحرمين الجويني فقرت بذلك عيناي، ودعوت للدولة السلجوقية وملكها ووزيرها.

وما لبثت أن رأيت الأفرينج يحملون الصلبان ويجيرون على البلاد الإسلامية، ورأيتهم من كل حدب ينسلون. وقد جن جنونهم حتى سافر ألاف من الأطفال والعلماء من بلاد الأفرينج ليفتحوا القدس، وقد غرق أكثرهم
في الطريق وماتوا، ورأيت ملوك أوريا قد تحالفوا على ذلك وتدفعن من أوريا جنود من الصليبيين حتى أخذوا القدس ووضعا في المسلمين السيوف حتى سالت بدمائهما سكك مدينة القدس ورقت فيها الخيل، وأخذوا أكثر مدن سورية وفلسطين، وهددوا مصر والعراق وطمموا في الحجاز، وبلغت بهم الجرارة والوقاحة أن حلف منهم أمير علي إهانة الجسد الطاهر الدفين في المدينة عليه ألف ألف سلام.

رأيت كل ذلك والتتفت إلى الدولة السلجوقيّة في نيسابور وقتلت أيّن ملوكها الذين كانوا يغزون الأفرنج ويهزمونهم مرة بعد أخرى فإذا هي قد انقرضت سنة 532 هـ والتتفت إلى المسلمين فرأيتهم في لهونلعب، وفي غزوونهم، بأسهم بينهم شديد.

ورأيت الناس والمملوك والوزراء والعلماء في شغل عن الأفرنج فخفت على الإسلام وقتلت على الدين السلام.

وإذا بالسلطان نور الدين الزنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي وقد نزلوا بالأفرنج وقارعاهم قراهاً شديداً، ولم يزل صلاح الدين يضرب الحديد بالحديد حتى هزم الأفرنج في طربية شر هزيمة، ودعا بالبرنس الذي حلف على إهانة جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب رأسه بيده.  

١٢٨٣
قال الأتی: اليوم أنتصر محمد صلى الله عليه وسلم
وانتحر القدس والمدن الشامية من أيدي النصارى
ويقبض وجه المسلمين في العالم، وكان فتحاً تضاءلت أمامه
الفتوحات وأثنى عليه الملائكة والروح، وقال قائل من المسلمين.
هذا الذي كانت الأيام تنتظر
فليروف لله أقولاً بما نذروا
ثم انحدرت إلى أسفل فرأيت أن بغداد التي زرتها
قبل دقائق قد زحف إليها جراد من النتر فخربها تخريباً
ووجدوا من دماء أهلها أنهاراً، ورفعوا من رؤوسهم مناراً.
وقتلوا الخليفة المعتصم شرقتاً، ورموا بالكتب النفيسة في
ماء دجلة فاسود نارة بسوادها وأحمرتارة بدماء أهلها،
ولولا أنني أعرف مكانها على شاطئ دجلة لأنكرت هينتها
ولم أعد أعرفها.
ورأيت النتر جرداً منتشرأٌ في العالم الإسلامي وقد
خربوا المدن الإسلامية الكبرى وعواصم الشرق، نخفضوا
بنياتها وخرابوا مساجدها، وأحرقوا دورها، وذبحوا أهلها،
ومزقوا دولة خوارزم شاه في خراسان وقضوا على الخلافة
السياسية في العراق، واستشرع المسلمون الخوف والجبن
حتى صاروا لا يصدقون بهزيمة النتر، واشتهر على ألسنتهم:
إذا قيل لك إن النتر انهزموا فلا تصدق.
وخفت على الإسلام مرة ثانية وقالت لعل هذه آخر ساعة من ساعاتها، وإذا أرى التتر يدخلون في الإسلام أفواجاً، وإذا بفوات المسلمين يعود مفتوحاً للإسلام فعرفت أن هذا الدين خالد، وأنه يهجم كل قاهر.

ولكن ضاعف أمر المسلمين، وساد الجمود والخمود في أنحاء العالم الإسلامي ولم أرى شيئاً يقر العين ويشرح الصدر ويبعد الأمل في النفس إلا أنى رأيت في آسيا الصغرى جمرة من حياة، وأيده من نشاط قد أسس الغزاري عثمان خان دولة مستقلة، وكانت لهذه الدولة الفتاة مستقبل عظيم، وقد فتح شحلها الغزاري محمد الثاني القسطنطينية عاصمة العالم النصارى سنة 858هـ اتخذها قاعدة ملكه، وخلفه ملوك عظام تغلوا في أوروبا وقهرهما الأمم النصرانية.

هناك التفت إلي بلاد الأندلس مرة ثانية، فرأيت قرطبة وما جاورها من البلدان الإسلامية قد خرجت من أيدي المسلمين، وإذا المساجد قد عادت كنائس للنصارى، يبرز فيها الناقوس، وإذا ووجوه عربية ودين نصري، وحضارة شبه عربية، وحياة جاهلية، فاسترجعت ويكبت وسرحت طرفية في جزيرة الأندلس فرأيت غرناطة العربية الإسلامية كأنها جزيرة الإسلام في بحر الكفر.
والظلمات، وما لبثت أن غمرها الماء أيضاً واستولى عليها الملك
النصراني "فردينند" وملكتها إيزابلا ورأيت أبا عبد الله آخر
ملوك بنى الأحمر يسلمها مفاتيح ملكه ويلقي على عرناطة
وقصر الحمراء نظرة الوداع، ويبكي ويرحل إلى مراكش.
وما لبثت أن رأيت البلاد الأندلسية الإسلامية تحول
نصرانية، والأمة العربية تتجرب على الارتداد، رأيت مساجد تهدم
ويتحول كنائس، ومدارس تعطل ومكاتب تحرق وقبوراً تنفس
وجسداً تنبش وأحياءاً يحرقون ويشنقون، وما لبثت البلاد
التي حكم فيها الإسلام ثمانية قرون أن أصبحت نصرانية ليس
فيها أحد يلفظ بكلمة الإسلام ويؤمن بمحمد عليه السلام.
راعني هذا المنظر وفزعته منه فإذا أنا على فراشي
وقلت لعل الله أراد بي خيراً فقد أرانى أطوار العالم
الإسلامي وألوان المسلمين، وأرانى عهد الخلافة الراشدة ثم
أرانى انحطاط المسلمين، وأرانى كيف يسلم الكافرون ويخضع
القاهر، وكيف يرد المسلم وتنصر البلاد الإسلامية بغفلة
المسلمين وسوء سيرتهم.
وقمت وقد آليت على نفسي أن أكون جندياً للإسلام
مرابطاً على نغوره، وأن لا تعود حادثة الأندلس في العالم
الإسلامي.

١٣١٠
رثاء الأندلس

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغري بطبيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولن يدوم على حال لها شأن
فجائع الدهر أنواع متنوعة
والزمان مسرات وأحزان
وللإموات سلطوان يسهلها
ومالا حل بالإسلام سلطوان
دهي الجزيرة أمر لازعاء لها
أهوى له أحد وانهد تهلال
أصابها العين في الإسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان
فأسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين شاطبة أم أين جبان
وأين قرطبة دار العلوم فحكم
من عالم قد نما فيها لله شأن

(122)
وأين حمص وما تحويه من نزه
وتهربها العذب فياض وملآن
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفرقة الألف هيمان
على ديار من الإسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهم إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان
ماشيًا مرحباً يلهيشه موطنه
أ بعد حمص تغير المرء أوطان
تلك المصيبة أنست مـا تقدمها
ومالها مع نطل الدهر نسيان
أعندكم نبأ من أهـل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلي وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقطط في الإسلام بينكم
وأنتم يا عباد الله إخوان

١٣٣
ألا نفوس أبيات لها مهام
أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لذلة قوم بعد عزهم
أحال حولهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكة في منازلهم
واليوم هم في بلاد الكفرعبدان
فلـو تراهم حياري لا دليل لهم
عليهم في ثياب الذل ألوان
ولـو أبواه ويامز عند بيعتهم
لهالك الأمرو واستهونتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما
كمـا تفـروق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنها هي يقلاوـت ومرجـان
يقدهـا العلج للمكروه مكرهـة
والعين باكية والقلب حيران
مثـل هـذا يذوب القلب من كـم
إن كان في القلب إسلام وإيمان

( صالح بن شريف الرندي)
ندوة العلماء

صارت قيادة المسلمين في القرون المتأخرة إلى أنساس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا، فحدث في الإسلام بذعة فصل الدين والدنيا. فاستبد الملوك بدنياهم وانقطع العلماء بدينهم، وبقي العامة لا قائد لهم ولا رائد. وصار الإسلام كالنصرانية، عرش وكنيسة وكل رجل، وقيد ومعن. ولكن عرش بدون قوائم، وكنيسة بغير حراس.

ولا فالا بعد العلماء عن الحياة صاروا أجانب عن الحياة وعن الدنيا وعن السياسة، حتى إذا تدخلوا في شأن من شؤونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على أهل الدين. لعدم خبرة العلماء وقلة مهاراتهم في شؤون الحياة وعلوم العصر.

وتشارغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، ومسائل لا تجد نفعًا. وتشارغلوا في الزمن الأخير بالجدل والشقاق والتكفير والتضليل، وصاروا يجاهدون في غير جهاد، ويعتبر أنهم يحسون صنعاً فكم سالطة دماء وكم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية في محاكم الكفار. وكم
وقع من إهانات ذات لب رقبة المسلمين في الهند.

استولت أوربا على الأرض، وكانت كما وصف الله سبحانه تعالى: "من كل حدب ينسلون" فهممت على الإسلام من طريق العقل والنقل والفلسفة والحكمة والتاريخ والأدب، ومن طريق السياسة و باسم الحضارة والثقافة، وعجزت الآلات التي حارب بها أسلافنا علماء اليونان عن مقاومة العلوم الغربية، فاقتضى الحال أن يجد علماء الإسلام آلات الدفاع عن الإسلام، ويحدثوا آلات أخرى للهجوم على العدو.

هذا، والمسلمون في الهند بين طائفتين، طائفة قد أمنت بالعلوم الغربية بالغيب، وأمنت بعصمة الغربين في علومهم وبسيادتهم وإمامتهم في كل شيء، ودعت إلى قبول نظامهم في التعليم على علاته، وطائفة قد أمنت بعصمة العلماء المتاخررين في منهج درسهم وترتيبهم للكتاب، لا يرون عنه بدلاً ولا يجدون عنه محيصلةً، ويرون العدول عنه في شيء ضرباً من التحرير ونوعاً من البدع، فاكاد الدين وكاد العلم يضيع بين جاحد وجامع.

أدرك هذا الخطر رجال من أهل الدين المتين والعلم الراسخ والنظر الشافع في مقدمتهم العالم الكبير والشيخ...
الصالح مولانا السيد محمد علي المونكيري رحمة الله عليه،
وكثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل رحمى الكنح
مرادآبادي قدس الله سره، وتمامذ الأستاذ الكبير مولانا
لطف الله العليكره، ينهي نسبهم العلمي إلى بيت الشيخ
ولي الله الدهلوى، واجتمعوا وشاوروا في الأمر، وكانوا قد
اجتمعوا في حفلة مدرسية فيض عام في كنفور التي أسسها
المفتي عنايت أحمد (م 1279 هـ) أستاذ الشيخ لطف الله.
اجتمعوا في هذه الحفلة سنة 1310 هـ وبحثوا في
مسائل التعليم الديني ومستقبل المدارس العربية وشؤون
المسلمين الاجتماعية والخلقية، وصحبت عزياتهم على
تأسس جمعية دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الديني وإ
صالح المسلمين الاجتماعي والخلقى، والجمع بين طبقات
المسلمين عامة وطبقات العلماء وأحزابهم خاصة.
أسس هؤلاء العلماء - وهم نخبة علماء الهند-
جمعية باسم "ندوة العلماء" وعقدوا حفلتها الأولى في
كانفور سنة 1311 هـ تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ
لطف الله العليكره، وأرسلوا دعوتهم إلى جميع كلمة
العلماء ورفع الشقاق والنزاع من بينهم وإصلاح المدارس
القديمة والتغيير اللائق في منهج المدارس.

١٣٧
اجتهذ أعضاء الندوات في ذلك واجتمعوا وتشاوروا فكاتبوا ورسلاو وخطبوا وكتبوا في هذا الموضوع، ولكن علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عمليا للمدارس الأخرى.

فأسسوا في لندن العاصمة الولايات المتحدة في الهند على دعوة السري المخلص الشيخ أطهر علي الكاكوري (م 1326 هـ) دفين البقيع - مدرسة دينية عربية هي دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وكان ذلك سنة 1317 هـ تولى إدارتها والإشراف على شؤون مدرستها رجال ممتازون بمكانة في الدين مع تسامح في الخلافات والصراعات، ورسوخ في علوم الدين مع اطلاع واسع على شؤون العصر، ومحافظة على الشرع والتقوى مع حب الجمع بين طبقات الأمة، وهم من بيوت علم ومدين، فكان مولانا السيد محمد علي المونكيري (م 1346 هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مراد آبادي أول مدير لندوة العلماء وخلفه مولانا مسيح الزمان الشاه جهان بوري (م 1361 هـ) استاذ ضريح حيدرآباد السابق، وخلفه مولانا خليل الرحمن السهارنيوري (م 1355 هـ) ابن المحدث الكبير مولانا أحمد علي السهارنيوري صاحب حاشية البخاري وخلفه مولانا

(138)
السيد عبد الحي الحسني (م 1342 هـ) صاحب نزهة الخواطر والمؤلفات العربية الجليلة من بيت السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وخلفه مولانا السيد علي خسان خان (م 1355 هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوفال، وخلفه الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز الحسني نجل مولانا السيد عبد الحي مدير ندوة العلماء الأسبوع (وخلفه سماحة الشيخ العلامة السيد أبوالحسن علي الحسني الندوبي رحمه الله تعالى، صاحب مؤلفات كثيرة بارعة وخدمات دينية جليلة) وكان الإشراف على شؤونها التعليمية إلى الأستاذ الكبير والمؤرخ الشهير الشيخ شбли النعماني (م 1326 هـ) ثم إلى تلميذته النابغ الأستاذ السيد سليمان الندوبي.

تمتعت الندوة بحماية كبار الصالحين، ورجال العلم والدين من أول يومها، كمولانا ظهور الإسلام الفتاح بوري، ومولانا نور محمد البنجابي ومولانا تجميل حسين البهاري من كبار أصحاب الشيخ سليمان البهلولوي، والسري الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشرواني رئيس الشؤون الدينية في إمارة حيدرآباد سابقًا من أقدم أعضاء الندوة ومن كبار حماتها، والشيخ رحيم بن حسن وصي إمارة

(139)
بهاول بور سابقاً، والعلامة عبد الحق الحقاني صاحب التفسير المقبر، والشيخ سليمان المنصورفوري، والمنشئ احتشام علي الكاكوروي وغيرهم.
وتولى التدريس في دار العلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند وخارجها، كالشيخ محمد فاروق الجريا كوني والشيخ عبد الله التونكي والشيخ محمد طيب المكي والشيخ شير علي لجيدرا ابادي والشيخ محمد بن الحسين اليمني والشيخ أمير علي اللكهنو، والشيخ حفيظ الله البندولي والشيخ شبيلى الأعظمي، والشيخ حيدر حسن خان التونكي والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي.
تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهج الدرس العربي، فحذفت وزادت ويرت وأصلحت في منهج التعليم.
حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقه من العناية فقررت درس متنه الشريف حرفاً حرفياً ونحواً وأدباً واجتماعاً وفقهاً وكلاماً، هذا ما أعدا التفاسير المقبرة في الصفوف العالية، وألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدرج في سنها التعليمية.

(142)
زادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها. لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنز الكتب والسنة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية. ووجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر وكلغة حية يكتب بها ويخطب. لا كلغة أثرية عتيقة ميتة، وألفت لذلك كتبًا تساعد على ذلك، وقد أقر الناس بفضل الندوة في هذه الناحية.

قررت تدريس اللغة الإنكليزية وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية وعلم السياسة وعلم الاقتصاد، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر، ويتسلاحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين. أنست ما كان بين أهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية وأهل الحديث من المشايخات دواعي العصبية. ونجحت في ذلك نجاحًا تاماً، فلا تشم في دارها رائحة الخلاف ولا حقد المذهبي. وترى الطلبة من كل مذهب إخواناً متقاولين في قاعة درسهم ودار إقامتهم جنباً إلى جنب.

ابدأ الندوة وشعارها أن تخرج من مدرستها رجالاً مبشرين باليدين القديم لأهل العصر الجديد، شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب
يستهوي القلوب أمة وسطاً بين الجامدين والجامعين.

وقد أُنتجت في مدة قليلة رجالاً هم خير مثل للعالم
المسلم العصري الذين قد قامت بهم حجة العلوم الإسلامية
على أهل العصر الجديد، ورفعوا رأس علماء الدين عالياً بين
طبقات المتعلمين. ولهم آثار جميلة خالدة في الأدب
الإسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية
والتاريخ ككتب سيرة النبي في ست مجلدات كبار وهي
موسوعة إسلامية وأكبر كتّاب ألف في السيرة النبوية
ومهمات الدين في هذا العصر للشيخ سليمان الندوي، وكتب
في تراجم الصحابة وسيرهم للمتخرجين من دار العلوم
ورسالة قيمة في الدين والعلوم العقلية للأستاذ عبد الباري
الندوي، إلى غير ذلك من الكتب والرسائل.

وقد أنشئ المتخرجون من الندوة جمعية دار
المصنفون في أعظم كره وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة
في الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم "معارف".
ولدار العلوم بناءة عظيمة على شاطئ نهر كومتي في
مدينة لكانوال ومكتبة كبيرة تحتوي على أكثر من مائة ألف
كتاب أكثرها غير مكررو و180 من الكتب الخطية النادرة ودور
إقامة الطلبة ومسجد جميل.
على لسان الندوة

عفٌّ دِيّار علّوم الدين قاطبة
نسج الدبور وأرياح جرت نقماً
بالمدارس أضحت وهي دارسة
يا للمكاتب تبكي العلم والعلماً
أما سمعتم بكاهانة وهي صارخة
صراخ ثكلى على مولودها احترماً
وارحمتماه لأرض الدين منقصها
ريب النون ممدا سيلها العرما
وارحمتماه لدين قل عصبتَه
من كل حام حماه راسخ قدماً
وارحمتماه لدين قل نادبه
وللرجال وواسيفها وقامها
يا للبقاء صونوا الدين تنتصروا
يصنعكم ويرد المجد والحشماً
إني مَحذَّركم من وقع واقعة
يمسى الوليد لديها هيبة هرماً
ألا خذوا حذركم في كل آونة
فما أتقى النار إلا كيس حزما
ووثقوا عروة الإسلام أوهنهاء
تفرق فيكم قد حل مخترما
هذي اختلافاتكم كم شخصت بكم
سفهت عرب الإسلام والعجما
أليس أكمل هذا الدين ربك
أما أنتم عليكم فضله النعما
يا ليت شعري فقيمًا احتصامكم
ما الذي بعده ترضونه حكما
كم ذي الفتوى وكم تكدير إخوكم
كم ذا الانتباه وواذلاه واندما
هذا النهى فتر الإسلام نهضته
هذا الذي قصر الأعظام والهمما
الله يكلم كونوا أصدقاء كما
كانت معاشرة الأسلاف والقدما
الله يكلم إن كنتم لهم خلفًا
تابعوه مع الإحسان لا جرما

١٤٥
وقفوا أود الأحاديث تربية
وعلموا علوم الدين والحكمة
ضيعتموها إذا الأقوام غيركم
حازوا الفنون وفتقوا في النهى أبداً

عند يسأل كل عن رعيته
فما جوابكم يا معشر العلماء؟!

(أحمد بن عبد القادر الكوكتي م١٢٣٠ه)
<table>
<thead>
<tr>
<th>الاسم</th>
<th>الرقم</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الحياة في مدينتها الرسول</td>
<td>1</td>
</tr>
<tr>
<td>المنارة تتحدث (1)</td>
<td>2</td>
</tr>
<tr>
<td>المنارة تتحدث (2)</td>
<td>3</td>
</tr>
<tr>
<td>المنارة تتحدث (3)</td>
<td>4</td>
</tr>
<tr>
<td>عمر بن الخطاب وأم البنين</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>الإمام أبو حامد الغزالي</td>
<td>6</td>
</tr>
<tr>
<td>بين والد جندي وولد فقيه</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>فاكهة الهند</td>
<td>8</td>
</tr>
<tr>
<td>حديث القمر (1)</td>
<td>9</td>
</tr>
<tr>
<td>حديث القمر (2)</td>
<td>10</td>
</tr>
<tr>
<td>حديث القمر (3)</td>
<td>11</td>
</tr>
<tr>
<td>السلطان مظفر الحليم الكجراطي (1)</td>
<td>12</td>
</tr>
<tr>
<td>السلطان مظفر الحليم الكجراطي (2)</td>
<td>13</td>
</tr>
</tbody>
</table>
السلطان منظر الحليم الكجراطي (3)
52
رسول المسلمين عند قائد قواد الفرس
57
الجامع الأحمر
62
أدب القرآن
63
شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية
66
كيف تعلم الإسلام في الأندلس النصرانية
71
وصف قلم
76
عالمي بن شاه جهان سلطان الهند (1)
78
عالمي بن شاه جهان سلطان الهند (2)
83
تجارة رابحة
88
الشيخ نظام الدين اللفاهوي
90
من الشتق إلى النفي (1)
94
من الشتق إلى النفي (2)
99
الشيخ عبد العزيز الدهلوي
103
دار العلوم ديوان ومدرسة مظاهر العلوم
109
من النجوم إلى الأرض (1)
117
من النجوم إلى الأرض (2)
120
من النجوم إلى الأرض (3)
127
رثاء الأندلس
132
ندوة العلماء
135
على لسان التدوينة
143
1478
الموضوعات بحسب الأغراض

الدروس الدينية والخلقية

الحياة في مدينة الرسول ﷺ ............................................................................. 2
 أدب القرآن ................................................................................................. 63
 التجارة رابحة ......................................................................................... 88

دروس من التاريخ الإسلامي

عمر بن الخطاب وأم البنين ....................................................................... 22
 بن والد جندب وولد قفيه ..................................................................... 31
 رسول المسلمين عند قائدة قواد الفرس .............................................. 57
 كيف تعلم الإسلام في الأندلس التسراطية ........................................ 71
 من الشنق إلى النفّي ........................................................................... 94
<table>
<thead>
<tr>
<th>كتاب</th>
<th>صفحات</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>تلخيص التاريخ الإسلامي من النجوم إلى الأرض</td>
<td>117</td>
</tr>
<tr>
<td>تلخيص التاريخ الهندي الإسلامي</td>
<td>7</td>
</tr>
<tr>
<td>المناارة تتحدث</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رجال التاريخ الإسلامي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الإمام أبو حامد الغزالي</td>
<td>26</td>
</tr>
<tr>
<td>السلطان مظفر الحليم الْعِجرياَتْ</td>
<td>44</td>
</tr>
<tr>
<td>شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية</td>
<td>66</td>
</tr>
<tr>
<td>عالم كبير بن شاه جهان سلطان الهند</td>
<td>78</td>
</tr>
<tr>
<td>الشيخ نظام الدين الكهنوي</td>
<td>90</td>
</tr>
<tr>
<td>الشيخ عبد العزيز الدهلوى</td>
<td>103</td>
</tr>
<tr>
<td>المعاهد الدينية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجامع الأزهر</td>
<td>59</td>
</tr>
<tr>
<td>دار العلوم ديبنند ومدرسة مظاهر العلوم</td>
<td>109</td>
</tr>
<tr>
<td>ندوة العلماء</td>
<td>135</td>
</tr>
<tr>
<td>دروس الأشياء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>حديث القمر</td>
<td>36</td>
</tr>
</tbody>
</table>
شعر (حكمة وملح)

فاكهة الهند .......................................................... 33
وصف قلم ............................................................. 76
رثاء الأندلس .......................................................... 136
على لسان الندوة .................................................... 143
الأدب العربي
بين عرض ونقدي
طبعا جديدا مزيدا ومنقحة
مطبوعة على الكمبيوتر بطباعة أنيقة حسن المظهر والمخبر
الصفحات: 43
في المقطع المتوسط
وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة:
حقيقة الأدب وتحليل النماذج
 ألفية فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي
مدير دار العلوم ندوة العلماء لكتانؤ
وقدر له: سماحة العلماء الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي
الأمين العام لندوة العلماء
وهو أول كتاب ظهر في موضوع العرض والنقدي لطلبة اللغة العربية
والأدب العربي في شبه القارة الهندية
كتاب وسط بين العرض والنقدي والجمع والتاريخ والحليقة الأخيرة في
سلسلة تدريس الأدب العربي، والحلقة الأولى في تدريس النقد الأدبي
يرتب الكتاب من
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب. 93 ندوة العلماء الكتانؤ (الهند)